الفرق الإسلامية
بين
الاعتدال والتطرف

تأليف

د . نبيل أبوحلتم



الفرقُ الإسلاميةُ

بين

الاعتدال والتطرف

تأليف

د . نبيل أبوحلتم

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمان ـ الأردن

الناشر

دار أسامه للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان

ص.ب ١٤١٧٨١ ـ تلفاكس ٨٦٢٢٦٢٣

الطبعة الأولى ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لا نقصد بالفرق هنا تلك المذاهب الفقهية التي كان همها الوحيد وهدفها المنشود إعلاء كلمة الإسلام الحقة، وتبيان معان من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اكتنفها الغموض والابهام، والخلاف الذي دار بين اتباعها من الفقهاء ورجال الدين في وجهات النظر وحول قضايا يعود خير تفسيرها وتوضيحها على التشريع الإسلامي وعلى المؤمنين به. ولا نقصد بها أيضاً تلك الأحزاب السياسية التي أخذت في الظهور على مسرح الحياة الإسلامية منذ انتقال النبي صلوات الله عليه الى الرفيق الأعلى، وكان هدفها الأول والأخير يكمن في السيطرة على مقاليد الحكم وتسلم شئون الخلافة، والقتال وسفك الدماء وسيلتها الى هذا الهدف، بل نقصد بها المذاهب الاعتقادية كالخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة والزنادقة وغيرها من المذاهب التي كانت تتجادل على أساس ديني بحت وتستمد آراءها وأفكارها الاعتقادية من أصول فلسفية الى جانب الأصول التي تتعلق بالدين والعقيدة، والخلاف الذي حل بين اتباعها ومؤيدي أفكارها من الأدباء والمفكرين والطبقات الدنيا لم يكن إلا حول آراء ومعتقدات يعود خير نشرها وذيوعها بين الناس إلى القائمين على هذه المذاهب وربما كان لبعضها تطلعات ومآرب سياسية وعقائد يغلب عليها الطابع السياسي ولكن هذه العقائد صبغت بالصبغة الدينية والفلسفية وصار أصحابها يؤكدونها ويقررونها بالأدلة والبراهين العقلية والمنطقية.

فالشيعة لاشك، كانت لها أهداف سياسية وتحدثت عن الإمام والإمامة، وتجادلت مع الفرق المذهبية والأحزاب السياسية المعاصرة كلها حول أحقية

على ابن أبي طالب في الإمامة قبل أبي بكر وعمر، وحول أحقية آل البيت بهذا الحق من بعده. لكننا لو نظرنا إلى طبيعة كلامهم وكيفية تبريراتهم لهذا الحق، لأدركنا السبب الحقيقي الذي اعتمدنا عليه حين اعتبرنا الشيعة مذهبا دينياً عقائدياً، وليس حزباً سياسياً يطمع في الخلافة فحسب.

فالشيعة من ناحية ـ ترى أن الايمان بالإمام ركن من أركان الدين، وجزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، ومن لم يعترف بهذا الركن فقد ضل وكفر. وعلى هذا الأساس رمت الشيعة الفرق المذهبية والأحزاب السياسية التي كانت تخالفها في هذا الاعتقاد بالكفر والالحاد.

وهذه الناحية على أية حال تظل كما يبدو مجرد تعسف من جماعة تريد تأكيد أهمية الامام وأحقيتها في الامامة. فنقلتها من نطاق الحكم إلى نطاق العقيدة. لكننا لو نظرنا إلى الناحية الثانية، وعرفنا الصفات التي أضفاها الشيعة على أئمتهم، وتعمقنا في التبريرات التي ارتكزوا عليها في إسباغ هذه السفات.. لوجدنا أنفسنا بلا شك أمام مذهب ينطوي على قواعد دينية محضة. فالإمام في اعتقادها يختلف عن سائر البشر وله من الصفات ما تخرجخ عن حدود الشخص العادي. فهو صاحب العلم الإلهي، الذي لا يعرفه أحد سواه، وهو خازن هذا العلم، كما أنه معصوم عن الخطأ، وإن أخطأ فلا يحق لأحد من الناس تخطئته لأنه على علم بما يقول، وما إلى ذلك من الصفات التي تتخذ من الدين والفلسفة وجهاً وعنواناً لها لذلك يمكننا القول إن الشيعة تختلف عن الأحزاب السياسية، ولا نستطيع مقارنتها من الناحية الإعتقادية بالحزب الزبيري، والأموي والعباسي، وإن صبغ بعضها عقائده السياسية بالصبغة الدينية، وصار يطالب بأحقيته بالامامة دون غيره على أساس ديني. لكن هذه الصبغة لم تكن في عمق أو تعقد الأسس الفلسفية التي كانت تقوم عليها الفرق المذهبية معنى ذلك أن المذاهب الاعتقادية تختلف إختلافاً تماما في هدفها وتفكيرها وفي

أسلوب معالجتها لمعتقداتها عن المذاهب الفقهية التي ظهرت في التشريع الإسلامي من ناحية وتختلف عن الأحزاب السياسية التي شهد قتالها القرن الأول والثاني الهجريان من ناحية ثانية.

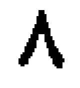
فالشيعة وعلى اختلاف فرقها التي عدها السلف من الفرق الإسلامية فقد كان هدفها منصباً حول نشر اعتقاداتها وتثبيتها في عقول الناس أما الخوارج والمرجئة والمعتزلة بفرقها التي ظلت تدور في معتقداتها ضمن حظيرة الإسلام، فقد كان الاخلاص لدينهم الإسلامي، والتفاني في خدمة تعاليمه سمة العديد منهم، لكن إخلاصهم هذا ظل مشوباً وممزوجاً بالانحياز لناحية معينة غلبت على مداركهم وسخروا لها امكاناتهم ـ ألا وهي التعصب والانحياز لآراء مذاهبهم ومعتقداتهم.

أما الزنادقة بما فيهم غلاة المذاهب السابقة، فقد كان هدفهم تحطيم الدين الإسلامي، وهدم تعاليمه واركانه، وتفتيت المؤمنين به.

ومهما كان هدف هذه المذاهب، ومهما كان نوع إخلاصها للدين الإسلامي فقد انقسم كل مذهب منها إلى فرق عدة وصار لكل فرقة آراء ومعتقدات خاصة بها تتفق في بعضها مع مذهبها الأم وتختلف في بعضها الآخر لكنها على أية حال على عداء مع الفرق المذهبية المخالفة لمذهبها ولا ترى في آرائها ومعتقداتها إلا البعد عن تعاليم الإسلام، فتستخدم شتى ألوان البراهين العقلية والأدلة المنطقية لتبطل مزاعم هذه الفرق.

الفصل الأول

فرق و معتقدات
في
ظل الإسلام



الشيعـــة

«هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصية إما جليا وإما خفيا. واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده» (١) وبعد مقتل الحسين بن علي في كربلاء افترقت الشيعة فيما بينها حول من يكون إماما لهم ففرقة قالت: «بإمامة علي بن الحسين» زين العابدين «وصارت تعرف فيما بعد بالزيدية أتباع زيد بن علي» (٢) وفرقة قالت «بإمامة محمد بن الحنفية زعمت أنه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن الحنفية فهو أولى الناس بالإمامة» (٣) وصارت تعرف بالكيسانية نسبة إلى زعيمها كيسان.

واختلفت الآراء حول نسب كيسان هذا الذي تنسب إليه هذه الفرقة فيرى البعض «أنه لقب أطلقه محمد بن الحنفية على المختار بن أبي عبيد لكيسه» (٤) وقال البعض «أنه مولى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٥). ومنهم من قال «إنه تلميذ لمحمد بن الحنفية» (٦). وقال أخرون «إنه أبوعمرة بن مالك المتوفى سنة ٦٧هـ، وكان يجاور المختار في سكنه وكان صاحب سره ومؤامراته، فلما قام المختار بحركته جعله صاحب شرطته» (٧).

نرى مما سبق أن الباحثين، قدامى ومحدثين، اختلفوا وحاروا حول

---

(١) الملل والنحل. الشهرستاني ج١ ص١٤٧.

(٢) الفرق بين الفرق. عبدالقاهر البغدادي ص١٦.

(٣) فرق الشيعة. النوبختي ص٢٢ ـ ٢٤.

(٤) السابق ص٤ش٢.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٧.

(٦) الملل والنحل. الشهرستاني ج١ ص١٥٠.

(٧) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج٢ ص ٤٨.

كيسان. ولا نستطيع التأكيد بدليل قاطع يثبت لنا أن كيسان هو المختار لأن المختار تنسب اليه فرقة المختارية ولها معتقداتها وأراؤها الخاصة وهذا ما يجعلنا نشك في نسب الكيسانية للمختار.

ومهمـــا كان الخلاف فإن الآراء والمعتقدات الإسلامية والمنحرفة التي نادت بها الكيسانية تحملها المختار وصارت سمة مميزة يمتاز بها سواء برئ منها أم لا يبرأ.

ومن المعتقدات الكيسانية القول بالبداء، يقول الاسفراييني «إن الكيسانية على إختلاف فرقه يجمعهم القول بتجويز البداء والقول بامامة محمد بن الحنفية» (١) والقول بالبداء نسبه الشهرستاني إلى المختار ويروي «أن المختار صار إلى القول بالبداء لأنه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحي يوحي إليه وإما برسالة من الامام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة. فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صحة دعواه وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم» (٢).

وهذا القول الذي يحمله الشهرستاني للمختار، حسب رأيي واعتقادي أنه ليس من صنـــع المختـــار ووضعه بل من صنع أعدائه الزيديين وهذا ما يؤكده الطبري في قوله «إن الذي كان يقول بالبداء هو أبونوف الهمذاني وليس المختـــار وأن ابن نوف هذا كان يدعي علم الغيب وقد تبرأ المختار منه» (٣). وربما كان المختار على علم ومعرفة بهذا الاعتقاد وإن وافق عليه فلم

---

(١) التبصير في الدين ص١٨.

(٢) الملل والنجل ج١ ص ١٥١

(٣) الطبري ج٦ ص ٨٥..

تكون موافقته إلا لسبب سياسي محض، ولم يكن إلا مشجعاً فقط لا أكثر وهذا ما يراه فلهوزن (١) والدكتور كما مصطفى الشيبي (٢). وسواء نسب هذا الاعتقاد الى المختار أو إلى غيره فقد نادى به جمهور الشيعة الكيسانية التي افترقت إلى عدة فرق منها ما ظل في معتقداته ضمن حظيرة الإسلام «كالهاشمية والمختارية والكربية» (٣)... ومنها ما شطت في معتقداتها وعدت من الفرق الغالية «كالبيانية والراوندية والحربية»(٤).

ومن المعتقدات التي نادت بها الكيسانية فكرة المهدي وقالوا إن محمد بن الحنفية هو المهدي بعد علي والحسين المهديين، ويعتقد أنهم حوّلوا هذه اللفظة التي كان يطلقها النبي ﷺ على الصحابة بقوله «عليكم بسنتي وسنن الخلفاء المهديين» إلى مصطلح يحمل معنى آخر يوافق أهواءهم، وعدوا محمد بن الحنفية موصياً عليه من الرسول ﷺ كوصيته بمهدية علي والحسين رضي الله عنهما، وصار هذا الاعتقاد عقيدة أساسية لمعظم فرق الشيعة ما عدا الزيدية التي لم تقر ولم تعترف بهذا الاعتقاد سوى بعض فرقها كالجارودية التي سايرت الرافضة هذا الاعتقاد ونادت برجوع امامها. ولم يذهب الشيعة إلى هذا الاعتقاد فقط بل الأمويون، فقالوا إن لهم مهدياً وأطلقوا عليه السفياني. ويعتقد أن فكرة المهدي هذه كانت نتيجة مباشرة للصراع السياسي الذي احتدم بين الطوائف الإسلامية وصارت كل طائفة تبرر حقها في الامامة وتعتقد أن هناك مهدياً سيعود ويقضي على خصمها وهذا ما حمل

(١) الخوارج والشيعة ص٢٤٣.

(٢) الصلة بين التصرف والتشيع ص١٠٢.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٢ ـ ٦٣.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٨.

المنصور على تلقيب ابنه محمد بالمهدي رغبة منه في لفت أنظار الشيعة والكف عن هذا الإمام الذي يطعمون ويرغبون في وجوده.

كما أن المهدي عند الكيسانية «لن يموت وأنه حي وسيعود ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» (١). ورجوع المهدي صار من أهم الاعتقادات الشيعية فيما بعد حتى فرقة الاثني عشرية ظلت تنتظر عودة امامها الثاني عشر الذي لم يظهر. وأضفت الكيسانية على أئمتها بعض الصفات التي يمتاز بها عن سائر الناس كالعلم السري والتأويل الباطني الذي يصعب على أشخاص عاديين معرفته أي أن الامام كان عندهم «شخصاً مقدساً يبذلون له الطاعة ويثقون بعلمه ثقة مطلقة ويعتقدون فيه العصمة عن الخطأ لأنه رمز للعلم الإلهي» (٢).

وكانت فرقة الهاشمية الكيسانية أول من قالت بهذا العلم والتأويل يقول الشهرستاني: «قالت إن لكل ظاهر باطناً وإن لكل شخص روحاً ولكل تنزيل تأويلاً ولكل فناء في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، وهو العلم الذي استأثر علي رضي الله عنه به ابنه محمد بن الحنفية وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم» (٣). وأخذت الهاشمية تؤول آيات القرآن الكريم بما يوافق آراءها ومعتقداتها وهذا ما تبنته فرقة الاسماعيلية الامامية فيما بعد واعتبرته من عقائدها الاساسية وعلى هذا اطلق عليهم الباطنية «لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً» (٤).

---

(١) ضحى الإسلام - د. أحمد أمين - ج٣ ص ٣٢٧.

(٢) المذاهب الإسلامية - د. محمد ابوزهرة - ص٦٩.

(٣) الملل والنحل - ج١ - ص ١٥٢.

(٤) السابق ص٢٠٠.

أما الصنف الثاني من الشيعة فهم الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم الذي خرج الى الكوفة في عهد هشام بن عبدالملك في الوقت الذي كان فيه الحجاج بن يوسف الثقفي أميراً عليها، وكان كخروج الحسين من قبل تحت إلحاح شيعة الكوفة، ولم يستفد زيد من الفجائع التي حلت بأجداده على أيدي أهل الكوفة، وبرغم النصائح التي وجهت إليه للعدول عن قراره بالمسير إليهم إلا أنه رفضها وبايع أهل الكوفة، وما أن دارت رحى القتال حتى وجد نفسه وحيداً مع بعض انصاره، أما الذين بايعوه فقد هربوا وتركوه يخر قتيلاً كما خر الحسين من قبله، وتسلم ولده يحيى الامامة من بعده وسار إلى خراسان وجمع حوله أعداداً كبيرة من شيعتها إلا أن واليها نصر بن سيار استطاع قتله وصلبه.

وفي أثناء خروج زيد حدث الانقسام الثاني للشيعة فبعد أن كانوا صنفين هما الكيسانية والزيدية صاروا ثلاثة أصناف نتيجة الانقسام هذا، والصنف الثالث هم الإمامية ويروي البغدادي أن الذين خرجوا مع زيد بن علي قالوا له «إننا ننصـــــرك على اعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي فقال زيد إني لا أقول فيهما إلا خيراً وما سمعت أبي يقول فيها إلا خيراً... ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة» (١).

وهذا القول الذي نادى به زيد كان اتجاها جديدا يعارض فيه اتجاه جمهور الشيعة الذي ذهبوا على اختلاف فرقهم إلى تكفير أبي بكر وعمر لاعتقادهم بأنهما اغتصبا الخلافة من علي رضي الله عنه الذي كان يستحقها في نظرهم.

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٥.

ولا ريب أن زيداً خالف الشيعة الكيسانية والامامية في كثير من المسائل وأولها مسألة الامامة فالرافضة «الكيسانية والامامية» (١) قالت إن الامامة بالنص والتعيين وليس بالاختيار والوصف كما قالت الزيدية الذين ساقوا الامامة في أولاد فاطمة رضي الله عنهم ولم يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم «إلا أنهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالامامة إماماً واجب الطاعة، سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين» (٢). كما أجاز زيد إمامة إمامين في وقت واحد بشرط أن يكون كل إمام منهما من ناحية، وأن يجمع الصفات المطلوبة في الامام كالعلم والمعرفة والشجاعة، وصارت هذه الخطة منهجاً للزيدية فيما بعد (٣) وعلى أساسها جوّز بعضهم إمامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبدالله بن الحسن ابن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك(٤).

وكان من آرائه أيضاً «تجويز إمامة المفضول مع قيام الأفضل فقال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها» (٥). وعلى هذا لم يكفر زيد أحداً من الصحابة ولم يتبرأ منهم ولم ينكر تولي الشيخين اللذين كانا يكفرهما الرافضة.

ونلاحظ من الآراء التي نادى بها زيد أنها كانت موافقة لمذهب المعتزلة فالقول بامامة المفضول مع قيام الأفضل من الآراء التي اتفقت عليه الزيدية

---

(١) مقالات الإسلاميين ج١ ـ ص٨٨.

(٢) الملل والنحل ـ ج١ ص ١٥٨.

(٣) مروج الذهب ج١ ـ ص ١٨٢.

(٤) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٥٨.

والمعتزلة وهذا ما يؤكده الأشعري في قوله «فقد اتفقت الزيدية وجمهور المعتزلة بأفضلية الامام علي رضي الله عنه على بقية الصحابة وجواز امامة المفضول مع وجود الأفضل» (١).

ومن الآراء أيضاً التي وافق فيها الزيدية المعتزلة القول بمرتكب الكبيرة، فأصحاب الكبائر «كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون ابداً لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها» (٢). «ولا يغتفر لهم بلا توبة» (٣).

ولا شك أن هذه المعتقدات التي نادى بها زيد معظمها موافقاً للمعتزلة لا يرجع إلا لتلميذه زيد بن علي على يد شيخ المعتزلة واصل بن عطاء، وأثارت هذه التلمذة حقد ابن اخيه الباقر محمد بن علي «فدارت بينهما المناظرات حول تلمذته علي يد واصل واقتباسه ممن يجوّز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين» (٤).

أما المعتقدات التي لم يؤمن بها زيد ولم تؤمن بها الزيدية من بعده كالقول بالرجعة وانتظار المهدي فقد قالوا: «لا ننكر لله قدرته ولا نؤمن بالرجعة ولا نكذب به» (٥). وهذا ما حمل الدكتور محسن فياض على القول «إن الزيدية قد توقفت في أمر الرجعة فلم تقرها ولم تنكرها» (٦) معتمداً في قوله هذا على رأي النوبختي السابق. ولا ريب أن الزيدية قد حارت في القول بالرجعة لكن معظم فرقها أنكرتها ولم تؤمن بها ما عدا الجارودية «الذين قالوا بإمامة محمد بن

---

(١) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص ١٣٤.

(٢) السابق ج١ ـ ص ١٤٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٤.

(٤) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٥٩.

(٥) فرق الشيعة ص ٣٧.

(٦) أثر التشيع في شعر العصر العباسي ص ٢٣.

عبدالله الامـــــام وقالوا إنه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً» (١). ولكن هذا القول لا نستطيع بواسطته الحكم على أن الزيدية قد وافقت الشيعة الرافضة في هذا الاعتقاد كما أنه لا يعني أن فرقة من فرق الزيدية قد مالت إلى هذا الاعتقاد فنعممه على الزيدية.

ومن المعتقدات التي خالف فيها زيد جمهور الشيعة القول بالتقية التي نادت به الرافضة الذين كانوا يذهبون في هذا القول أكثر مما يتصوره العقل من التستر والاختفاء وراء مذهبهم ومعتقداتهم، أما زيد فقد انكرها وخالف فيها «ابن اخيه جعفر الصادق» (٢) كما أنكر رأي «المجبـــرة ودعاهم بالقدرية كما أنكر رأي المرجئة بأنه لا يضر مع الايمان معصية» (٣) فهذه هي المعتقدات التي نادى بها زيد وجاءت معظمها معتدلة قريبة من المعقول وليس الى التطرف كما هو الحال عند جمهور الشيعة الذين شطوا في بعض معتقداتهم، لكن بعد مقتل زيد انقسمت الزيدية إلى عدة فرق وصار لكل فرقة اعتقاداتها الخاصة ومن فرقها «الجارودية اتباع ابي جارود، والسليمانية أو الجريرية اتباع سليمان بن جرير والبترية اتباع رجلين احدهما الحسن بن صالح بن حي والأخير كثير المنواء الملقب بالأبتر» (٤).

ومن المعتقدات الجارودية «إن النبي ﷺ نص على إمامة علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية فكان هو الامام بعده وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به» (٥).

---

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٦١.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي ج٢ ـ ص ١٥٦.

(٣) السابق ـ ص ١٧١.

(٤) الفرق بين الفرق ـ ص ٢٢ ـ ٢٤.

(٥) مقالات الإسلاميين ج١ ـ ص ١٤١.

أما السليمانية فقد قالوا «إن بيعة أبي بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل وإن الأمة قد تركت الأصلح من بيعتهم إليها» (١) أما البترية، فقد «انكرت رجعة الاموات إلى الدنيا» (٢).

ومن الأقوال السابقة يتضح لنا أن الزيدية توافق المعتزلة أولاً في القول في مرتكب الكبيرة، وتوافق أهل السنة في ادخال عنصر الشورى والاختيار في الامامة لا بالنص والتعيين كما ذهبت إليه الرافضة، كما أنها جوّزت إمامة امامين في آن واحد، وجوزت امامة المفضول مع وجود الأفضل.

أما الصنف الثالث من الشيعة فهم الامامية القائلون «بأن النبي ﷺ نصّ على استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأظهر ذلك واعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ» (٣).

وساقوا الامامة بعد علي الى الحسين ثم إلى علي بن الحسين ثم إلى أبي جعفر محمد الباقر ثم إلى عبدالله جعفر الصادق، وهنا افترقت الإمامية إلى فرقتين فرقة قالت بإمامة اسماعيل جعفر الصادق الذي توفى في حياة والده وأطلق عليها الاسماعيلية، وفرقة قالت بامامة موسى الكاظم واطلق عليها الإثنا عشرية. ومن ثم انقسمت الامامية إلى فرق كثيرة يصعب على الباحث معرفتها ومعرفة معتقداتها، وحقيقة أن الانسان يتوه بين فرق الامامية وهم أكثر فرق الشيعة تعدداً، ومن فرقهم كما ذكرها البغدادي: «الكاملية، المحمدية، الباقرية، الناوسية، الشميطية، العمارية، الاسماعيلية، المباركية، الموسوية،

(١) مقالات الإسلاميين - ج١ - ص ١٤١.

(٢) السبق - ج١ - ص ١٤٤.

(٣) السابق - ج١ - ص ٨٩.

القطعية، الإثنا عشرية، الهشامية، الزرارية، اليونسية والشيطانية» (١).

وهذه الفرق عدّها البغدادي من الفرق الإسلامية ما عدا فرقة الكاملية فقد عدّها من الفرق الضالة المنحرفة. أما أكبر الفرق الامامية فهي الاسماعيلية اتباع اسماعيل بن جعفر وهذه الفرقة تطلق عليها ألقاب كثيرة بحسب المكان الذي انتشرت فيه يقول الشهرستاني «انها بالعراق تسمى الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة، وهم يقولون نحن الاسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم» (٢). أما النوبختي فيطلق عليها «الخطابية» (٣) نسبة إلى أبي الخطاب الأجدع الذي كان صديقا لاسماعيل.

لكن الدكتور محمد كامل حسين لا يوافق الشهرستاني في تسميتها بالباطنية فيقول «لقد أخطأ القدماء في اطلاق لقب الباطنية على فرقة الاسماعيلية لأن هذه الفرقة تدين بالباطن. والاسماعيلية يقولون بالباطن حقاً ولكنهم يقولون بالظاهر أيضاً» (٤) وسواء لقبت الاسماعيلية بالباطنية أم بالخطابية أم لم تلقب فانها ظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجري لا يعرف عنها شيء وظل عملها سراً حتى يئس اصحاب الفرقة الاثني عشرية من انتظار مهديهم أبي الحسن العسكري الذي لم يخرج من السرداب فاتجهت أنظار الشيعة الامامية الى الفرع الثاني وهم الاسماعيلية. ومن الاعتقادات التي قالت بها الاسماعيلية هو اتخاذهم الاعداد رموزاً لاعتقاداتهم وخاصة العدد سبعة فقد قالوا «بعد موت اسماعيل السابع التام تم الدور به ثم ابتدأ

---

(١) الفرق بين الفرق ـ ص ٣٨.

(٢) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ٢٠٠.

(٣) فرق الشيعة ـ ص ٥٨.

(٤) الاسماعيلية ـ تاريخها، نظمها ـ د. محمد كامل حسين ص ١٥٣.

منه بالأئمة المستورين» (١) واعتقادهم هذا يخالف اعتقاد الاثني عشرية الذين ذهبوا حتى الامام الثاني عشر.

وقالوا أيضاً «إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع» (٢).

أما الاثنا عشرية فقد أضفوا على الإمام صفات وسمات يمتاز بها عن غيره من البشر ويصعب على الشخص العادي معرفتها ويقول الشيخ محمد رضا المظفر «إن الاثني عشرية يعتقدون أن الامام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منه وما بطن من سنة طفولته إلى موته عمداً أو سهواً كما أنه يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، وذلك لأن الأئمة هم حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ والدليل الذي يقتضي عصمة النبي ﷺ عندهم هو نفس الذي يقتضي عصمة الامام (٣).
اضافة إلى هذا القول فقد قالوا إن الإمام يستمد علمه بالإلهام وهذا يؤكده العاملي بقوله: «منهم من قال إن ما يلهمه به الله لابد من وقوعه لأن فيه صلاح البشر في معاشهم ومعادهم كذلك ما يلهمه للأئمة القائمين مقام النبي ﷺ ولابد من وقوعه لأن فيه خير البشر وصلاحتهم» (٤).

ومن اقوال الاسماعيلية والاثني عشرية نرى أن الامام عند الامامية بشكل عام شخص مقدس له صفات باطنية تخرجه عن حدود البشر لأنه حسب اعتقادهم متصل بالشريعة وله حق التصرف في كل مصالح الناس كما أنه

---

(١) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٩٩.

(٢) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٩٩.

(٣) عقائد الامامية ـ الشيخ محمد رضا المظفر ص ٦٧.

(٤) عقيدة الشيعة ـ السيد حسين يوسف مكي العاملي ـ ص ٧٦.

معصوم عن الخطأ ولو أخطأ فلا يحق لأحد تخطئته.

والإمام عند الإمامية لن يموت بل سيعود إلى الدنيا وهذا ما نادت به الإثنا عشرية التي ظلت تنتظر إمامها أبا الحسن العسكري الذي دخل السرداب في مدينة سامراء واختفى في هذا السرداب خوفاً على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة «ويقول شيعته إنه لا يزال إلى الآن حياً وأنه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الدنيا عدلاً» (١).

ونستخلص مما سبق أن محور المعتقدات الشيعية يرتكز حول الإمامة والإمام وكما يقول جولدتسيهر «وليس الاعتراف بالإمام في مذهب الشيعة أمراً تكميليا لصحة العقيدة، بل هو جزء جوهري من صميم القواعد الإيمانية، لا ينفصل عن أرفع الحقائق الدينية» (٢).

والحديث عن الإمام والإمامة عند الشيعة على النحو السالف يكاد يخرجنا عن صلب موضوعنا ولكن لو نظرنا في الصفات التي أضفاها الشيعة على أئمتهم لوجدنا أنفسنا أمام مذهب ديني عقائدي وفلسفي، فالامام عند الشيعة عامة ما عدا الزيدية مهدي منتظر كما أنه صاحب علم ومعرفة أي أنهم مقدسون مثلهم كمثل الأنبياء ومعصومون عن الخطأ.

---

(١) الاسماعيلية ـ ص ١١.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٨١.

الخــوارج

كان التحكيم الذي وافق عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرغماً سبباً في سخط جماعة من انصاره وانحيازهم عنه إلى حروراء واطلق عليهم الحرورية نسبة إليها، والمرء يعجب لخروجهم «فهم الذي حملوه على التحكيم أولاً وكان يريد أن يبعث ابن عباس رضي الله عنه، فما رضي الخوارج بذلك وقالوا: هو منك وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى» (١).

وحاول علي ملاطفتهم ومصالحتهم للرجوع إليه للقتال معه ضد معاوية، إلا أنهم رفضوا مصالحته حتى يعلن التوبة لإعتقادهم أنه قد كفر لقبوله تحكيم الرجال في كتاب الله أي أن الباعث على خروجهم كما يقول فلهوزن هو «التوبة ـ والتوبة عندهم إنما تكون في الافعال وبهذا طالبوا عليا وسائر القوم أن يتوبوا بالافعال» (٢).

وظل شعارهم لا حكم إلا لله سلاحاً يشهرونه في وجه علي ويعارضونه به في الصلاة والخطبة، حتى يئس علي من اعمالهم وخرج لقتالهم في النهروان وقتلهم جميعاً «ولم يفلت منهم غير تسعة انفس، فصار منهم رجلان إلى سجستان ومن اتباعهما خوارج سجستان، ورجلات سارا إلى اليمن ومن اتباعهما أباضية اليمن ورجلان سارا إلى عمان ومن اتباعهما خوارج عمان، ورجلان سارا إلى ناحية الجزيرة» (٣).

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص١١٥.

(٢) الخوارج والشيعة ص ٢٧.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٦١.

وقد اختلف الخوارج فيما بينهم فرقا وطوائف تزيد على العشرين فرقة وعلى الرغم من كثرة فرقهم إلا أنهم يجمعون على اصول مذهبهم ويروي البغدادي أن الذي يجمع الخوارج على اختلاف فرقهم «إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو احدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر» (١).

أما قولهم في مرتكب الكبيرة فيرى الاشعري «أن الخوارج اجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول بذلك» (٢) وهذا يخالف قول الكعبي في «أن الخوارج اجمعت على تكفير مرتكب الكبيرة» (٣).

أما البغدادي فإنه يصوب رأي الأشعري على الكعبي بقوله «الصواب ما حكاه شيخنا أبي الحسن عنه وقد اخطأ الكعبي في دعواه اجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم» (٤).

ومهما يكن من اختلاف الكعبي والأشعري والبغدادي فإن هذا القول صار من أهم المسائل التي اعترضت المذاهب الإسلامية وتجادلوا حولها وتناقشوا فيها، كما أن هذه المسألة هي العقيدة الاساسية التي خرج عليها الخوارج وكفروا عليا والحكمين ومن وافق معهم، وهم في هذا الاعتقاد يخالفون سائر المذاهب الإسلامية ما عدا الشيعة الذي اتفقوا مع الخوارج في اعتبار مرتكب المعاصي كافراً مخلداً في النار، أما المعتزلة فقد قالوا إن مرتكبها في منزلة بين منزلتين لا كافر ولا مؤمن، أما المرجئة فقد أرجأت الحكم فيها إلى يوم

(١) الفرق بين الفرق ص ٥٥.

(٢) مقالات الإسلاميين - ج١ - ص١٦٨.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٥٥.

(٤) الفرق بين الفرق - ص ٥٥.

القيامـــــة.

وأما المسائل الفرعية التي اختلف حولها الخوارج فهي كثيرة بكثرة فرقهم فالأزارقة اتباع نافع الأزرق ذهبوا إلى معتقدات في جملتها «تكفير القعدة، واباحة قتل اطفال المخالفين والنسوة معهم، وأن اطفال المشركين في النار مع آبائهم، وأن التقية غير جائزة في قول ولا عمل وأن مرتكب أية كبيرة من الكبائر كافر كفر ملة» (١).

ونرى من المعتقدات التي نادى بها نافع أنه كان متشدداً ومتعصباً فيها حتى أنه كان متطرفاً ومتهوراً في بعضها فكانت سبباً في افتراق بعض الخوارج عنه، ونصبوا عليهم تخدة بن عامر الحنفي الذي تعرض لنافع وجادله في بدعه وأقواله، وبهذا نشأت فرقة جديدة صار لها اعتقادات وأراء تختلف عن معتقدات الازارقة، وكانت أقل تطرفاً منها واطلق على هذه الفرقة النجدات أو النجدية.

ومن معتقداتها «أن من ثقل عن هجرته فهو منافق، واستحلال دماء أهل المقام واموالهم في دار التقية، وبرئوا ممن حرمها، وتولوا اصحاب الحدود والجنايات من موافقيهم، أما مرتكب الذنوب فقد قالوا لا ندري لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم، فإن فعل يعذبهم في غير النار بقدر ذنوبهم، ولا يخلدون في العذاب ثم يدخلهم في الجنة» (٢).

ومن أقوال النجدات نلاحظ أنهم كانوا يميلون الى الاعتدال وليس إلى التطرف كما ذهبت إليه الأزارقة، فمرتكب المعاصي عند الأزارقة كافر مخلد

---

(١) الملل والنحل - ج١ - ص ١٢٥.

(٢) مقالات الإسلاميين - ج١ - ص ١٧٥.

في النار، أما عند النجدات فلم يقولوا بتكفيره، وارجأوا الحكم فيه الى يوم القيامة، وهم في هذا الاعتقاد يوافقون مذهب المرجئة.

ومن الآراء التي نادت بها النجدات «أنه لا حاجة للناس إلى امام قط، وأنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بامام يحملهم عليه فأقاموه جان» (١). فقولهم هذا أضافوه إلى أقوال جمهور الخوارج الذين رأوا أن الامامة حق لكل شخص من المسلمين ولو كان عبدا حبشياً، بشرط أن يكون تقيا وورعا. وهذا الامام إذا جار وجب الخروج عليه. واعتقاد الخوارج في الامام مخالف أولاً لأهل السنة الذين أوجبوا الامامة في قريش وأنها لا تتعداهم إلى سواهم، وخالفوا الشيعة ثانياً الذين قالوا إن الامامة بالنص والتعيين، لا بالاختيار والوصف، وأن أهل البيت أحق بها.

وافترقت النجدات إلى فرقتين هما (العطوية أتباع عطية بن الأسود الحنفي، و«الفديكية» أتباع رجل يقال له أبوفديك» (٢).

ومن الخوارج العجاردة أتباع عبدالكريم عجرد، وهم أكثر الخوارج فرقا فمنهم «الخازمية، والشعيبية والمعلومية والمجهولية، وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، والصالقية والأخنسية، والشيبية، والشيبانيـــة، والمعبدية والرشيدية والمكرمية والخمرية والشمراخية والابراهيمية والواقفة» (٣). وعـــدت جميع فرق العجاردة من الفرق الإسلامية ما عدا فرقة «الميمونية» فقد عدها البغدادي «من غلاة الكفرة الخارجين عن فرقة الأمة» (٤).

---

(١) الملل وانحل ـ ج١ ـ ص ١٢٧.

(٢) التبصير في الدين ـ ص ٣١.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) السابق ـ ص ٥٥.

ويجمع العجاردة ـ على اختلاف فرقها ـ القول «بأن كل طفل بلغ فإنه يدعى إلى أن يقر بدين الإسلام، وقبل أن يبلغ يتبرأون عنـــه ولا يحكمون له بحكم الإسلام في حالة طفولته» (١) نرى من هذا الاعتقاد الذي نادى به العجاردة أنهم يخالفون الأزارقة الذين ذهبوا الى قتل أطفال مخالفيهم، أما النجدات فقد ارجأوا الحكم فيهم إلى ما بعد بلوغهم.

ومن الخوارج أيضاً الاباضية، أتباع عبدالله بن اباض الذين انقسموا إلى عدة فرق منها «الحفصية، الحارثية، واليزيدية» (٢) ويجمعهم القول «بأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر نعمة، لا كفر الملة، وتوقفوا في أطفال المشركين، وجوّزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً» (٣) ومن المعتقدات التي نادت بها الأباضية نرى أنهم مسالمون معتدلون، وهذا ما يؤكده الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم في قوله: «والأباضية يختلفون عن غيرهم من فرق الخوارج في أنهم لم يغلوا في الحكم بل قالوا إنه يحل التزوج منهم وبتوارث الخارجي وغيره، وهم إلى المسالمة أميل، حتى قالوا إنه لا يحل قتال غير الخوارج غيلة ولا سبيهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة» (٤). لكن الملطي يقف منهم موقف الضد والخصم فيقول: «لقد قتلوا الناس وسبّوا الذرية وقتلوا الأطفال وكفروا الأمة وأفسدوا في العباد والبلاد (٥) وأعتقد أن الملطي قد تحامل على الأباضية، وربما رأيه على

---

(١) التبصير في الدين ص ٣٢.

(٢) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٣٨.

(٣) السابق ـ ص ١٣٨.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي ج١ ـ ص ٤٠٩.

(٥) التنبيـــه والـــرد ص ٥٢.

تصرفاتهم العملية القاسية، لكن هذا لا يعني أنهم قد تطرفوا في معتقداتهم، ولو قارنا بينهم وبين الأزارقة لوجدنا بين الفرقتين بونا شاسعاً.

ومن الخوارج أيضاً الصّفرية أتباع زياد بن الأصفر (١) إلا أن الملطي ينسبها إلى «المهلب بن أبي صفرة» (٢) لكن الباحثين القدامى والمحدثين أجمعوا على نسبتها إلى زياد وليس إلى الملهب كما اعتقد الملطي.

ومن عقائدهم «تكفير القعدة، ولم يسقطوا ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وقالوا بالتقية دون العمل، وقالوا ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأصله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنى والسرقة والقذف فيسمى زانيا سارقاً، لا كافراً مشركاً» (٣).

ويذكر البغدادي أن الصّفرية انقسموا إلى ثلاث فرق «فرقة قالت إن صاحب كل ذنب مشرك، وفرقة قالت أن اسم الكفر واقع على صاحب دين ليس فيه حد، والمحدود في ذنبه خارج عن الايمان وغير داخل في الكفر، وفرقة قالت أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حدّه الوالي على ذنبه» (٤).

ونلاحظ من الاعتقادات التي نادى بها الخوارج أن معظمها يدور حول مرتكب الكبيرة، وتكفير القعدة أو تبرئتهم، والتقية والمجاهرة، والحكم في أطفال مخالفيهم فذهب البعض الى تبرئتهم والبعض الآخر إلى تكفيرهم والبعض عدهم مشركين كآبائهم ويجب قتلهم، وهل دار مخالفيهم دار كفر أو دار سلم فمنهم من اعتبرها دار حرب ومنهم من اعتبرها دار سلم.

---

(١) الفرق بين الفرق ـ ص ٧٠.

(٢) التنبيه والرد ـ ص ٥٢.

(٣) الملل والنحل ـ ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٤) الفرق بين الفرق ـ ص ٧٠ ـ ٧١.

هذه هي المسائل التي دار حولها النقاش والجدل بين فرق الخوارج من ناحية وبين المذاهب والفرق الإسلامية من ناحية أخرى، وعلى الرغم من اختلاف الخوارج وتعدد فرقهم ومعتقداتهم المتطرفة والمعتدلة فإنهم ظلوا المذهب الوحيد المحافظ على تعاليم الدين الإسلامي ولم يكن تشددهم وتعصبهم لمبادئهم إلا تعبيراً عن اخلاصهم لمذهبهم وعقيدتهم التي خرجوا من أجلها حتى أن مناقشاتهم ومجادلاتهم غلب عليها طابع التعصب، ولم يقتنعوا بحجة مخالفيهم ولو كانت صائبة.

وكما يقول فلهوزن «فقدموا الدين على أي اعتبار آخر وتصلبهم بحيث لا يقبلون أي تساهل في الدين» (١). وهذا ما يراه أيضاً الدكتور حسن ابراهيم حسن فيقول: «ومما امتازوا به شدة تمسكهم بالقرآن واتباع احكامه وتنفيذ اوامره وكان خوفهم من عذاب الله يوم القيامة يثير في نفوسهم التحمس للحق وشدة التمسك به والائتمار بأوامر الله واجتناب نواهيه» (٢).

ولا شك أننا لو تعمقنا في المسائل التي تجادل حولها الخوارج لوجدنا أن الدين هو الاساس في اعتقاداتهم هذه ولا ريب أن بعضهم قد تشدد في تعاليم هذا الدين واعتبروا أنفسهم وحدهم الحريصين عليه وكما يقول الفرد جيوم «ونستطيع أن نصور موقف هذه الجماعة احسن تصور من نظريتهم في الوضوء فالواجب على كل مسلم أن يتوضأ قبل الصلاة ولكن الخوارج قد ذهبوا الى أبعد من ذلك إذ قالوا أن الغيبة والنميمة تنقض الوضوء لا تحل معها الصلاة» (٣). وهذا الموقف الذي يصوره جيوم حقيقة ثابتة

(١) الخوارج والشيعة ص ٣١.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ج١ ـ ص ٤٦٦.

(٣) الإسلام ص ١١.

لهؤلاء المسلمـــين المؤمـنــين الخلص «ولم يكونوا بذرة قـاسـيـة بذرها ابن سبأ بل كانوا نبتة اسلامية حقيقية» (١).

(١) الخـــوارج والشيعـــة ـ ص ٢٥.

المرجئـــة

تعد نشأة المرجئة نتيجة طبيعية للخلاف الذي احتدم بين الفرق الإسلامية في أواخر القرن الأول الهجري حول مسـألة دينية فلسفية وهي الحكم في مرتكب الكبائر، والعلاقة بين الايمان والعمل. فالشيعة والخوارج برغم اختلافهم سياسياً وبرغم أن كل فريق منهم يكفر الفريق الآخر لكنهم اتفقوا على إدخال العمل في حكمهم على المؤمن والكافر وقالوا إن العمل جزء من الإيمان وإن المؤمن لا يعد مؤمناً بالقلب واللسان فقط بل بالعمل الصالح، فتعددت التساؤلات والاستفسارات حول الايمان والكفر ومن هو المؤمن؟ ومن هو الكافر؟ وشغلت هذه المسألة معظم مفكري الإسلام حتى عامة الشعب تناقشوا وتجادلوا واختلفوا حولها.

وفي هذا الخلاف العقائدي الفلسفي ظهرت جماعة من المسلمين وقالت «إن الايمان شيء والعمل شيء آخر، فالايمان هو التصديق في القلب في ثقة واطمئنان، والاعمال من فعل الخوارج حقيقة والايمان من شأنه أن يصدر عن العمل ولكن ليس من المحتم أن يصدر عنه العمل فقد تحول الحوائل وتمنع الظروف عن العمل ويكون الايمان مجرد تصديق قلبي» (١) واطلق عليهم المرجئة.

وقولهم هذا مخالف للشيعة وللخوارج الذين اعتبروا الايمان والعمل شيئا واحداً أي لا إيمان بدون عمل ولا عمل بدون ايمان، أما المرجئة فقد قالت إن المسلمين جميعهم مؤمنون «ولا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع

---

(١)التفكير الفلسفي في الإسلام ـ د. عبدالحليم محمود ص ١٩٣.

الكفر طاعة» (١) كما قالت لو ارتكب المؤمن المعاصي فان الحكم في صاحبها سيكون يوم القيامة أي إنهم ارجأوا الحكم في مرتكب المعاصي الى الله يحكم فيه بما يشاء، لكنهم اعتقدوا أن مرتكبها لا يحاسب حساباً كبيراً بل يدخل النار قليلاً ثم يخرج منها الى الجنة لاعتقادهم أن النار للكفار وليس للمؤمنين واعتمدوا في قولهم هذا على آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿إن الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (٣).

أما تسميتهم بالمرجئة فيقول البغدادي «لأنهم أخروا العمل عن الايمان» (٤). والشهرستاني يوافق البغدادي في قوله هذا ويقول: «إن الارجاء على معنيين احدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى ﴿أرجه وأخاه﴾ والثاني إعطاء ورجاء» (٥).

أما القول الأول كما يرى الشهرستاني لأنهم يؤخرون العمل عن الايمان وهذا ما يوافق عليه، أما القول الثاني لأنهم قالوا لا تضر مع الايمان معصية أي يطمعون في المغفرة ولم يحكموا على مرتكب المعاصي على اعتباره من أهل النار أو من أهل الجنة وأنما أخروا الحكم فيه الى يوم القيامة، وهذا ما يراه فان فلوتن ويرجع تسمية المرجئة «إلى بعض آيات القرآن الكريم» (٦) معتمداً على قوله تعالى ﴿وأخرون مرجئون لأمر الله أما يعذبهم

---

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٤٢.
(٢) النساء ٤٨ ـ النساء ١١٦.
(٣) الزمر ٥٣.
(٤) الفرق بين الفرق ص ١٩٠.
(٥) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٤٢.
(٦) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ٦٤.

وأما يتوب عليهم والله عليهم حكيم﴾ (١).

ولا ريب أن الآراء السابقة تكاد جميعها تصب في وعاء واحد وتأخذ نفس المدلول والمعنى سواء من اعتبر تأخير الحكم، أو تأخير العمل، عن الايمان فإنها متداخلة في بعضها البعض ويصعب التمييز بين رأي وأخر.

والمرجئة كما يقول الاسفرايني ثلاثة أصناف منهم «من وافق القدرية في القول بالقدر مثل غيلان الدمشقي وأبي شمّر المرجئي ومحمد بن شبيب البصري، ومنهم من وافق الجهنمية في القول بالجبر فجمعوا بين دعوى الجبر والارجاء، ومنهم من انفرق في القول بالارجاء المحض لا يقولون الجبر ولا بالقدر» (٢). أما الشهرستاني فيضيف الى هذه الأصناف صنفاً أخر وهم مرجئة الخوارج وهؤلاء هم النجدية الذين لم يحكموا في مرتكب الكبائر بل قالوا لا ندري فربما يدخلون الجنة أولا يدخلونها وهذا القول رأيناه عند حديثنا عن اعتقادات النجدية كما أن الأشعري يطلق على فرقة الشيبانية «مرجئة الخوارج» (٣) الذين ارجأوا الحكم في مخالفيهم من الفرق الأخرى وتبرأ الخوارج منهم لقولهم هذا.

والمرجئة الخالصة الذين لم يقولوا بالجبر ولا بالقدر خمس فرق «البسونية والغمانية والثوبانية والتومنية والمريسية» (٤)، والمرجئة على اختلاف أصنافها وفرقها تكاد تجمع «على أن العمل ليس ركناً من أركان الايمان ولا داخلاً في مفهومه» (٥).

---

(١) التوبة ١٠٦ (٢) التبصير في الدين ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) مقالات الإسلاميين ج١ ـ ص ٢٠٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٩٠.

(٥) ضحى الإسلام ـ ج٣ ـ ص ٣١٧.

ومع أنهم متفقون فيما بينهم على أن الايمان شيء والعمل شيء آخر لكنهم يختلفون حول مفهوم الايمان فهو في نظرهم على درجات متفاوتة، فالغيلانية اتباع غيلان يزعمون «أن الايمان المعرفة بالله والمحبة والخضوع والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله سبحانه وتعالى» (١). وأصحاب أبي شُمَّر ويونس يقولون «إن الايمان: المعرفة بالله والخضوع له والمحبة له بالقلب والاقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء، مالم نقم عليه حجة الأنبياء، وإن كانت قامت عليه حجة الأنبياء فالايمان الاقرار بهم والتصديق لهم والمعرفة بما جاء من عند الله غير داخل في الايمان» (٢).

ومنهم من قال «إن الايمان قائم لايزيد وأن عمل المحسنات العظام وورع في الدين وترك الحرام وحج البيت دائما وصلى أبدا أو صام. ولا ينقص وإن عمل السيئات والكبائر والفواحش وركب الحوام جاهرا أو ترك الصلاة ولم يصم ولم يحج» (٣) أبدا.

ومنهم من قال «إن الايمان يزيد زيادة الأعمال دائماً لا منتهى له ولاغاية ولا ينقص بعض من أعمال المحرمين ولا بترك الفرائض وركوب ما يركب الظالمون» (٤).

ومنهم من غالى في قوله ومفهومه عن الايمان كجهم بن صفوان المجبّر فقد قال «إن الايمان عقد بالقلب وإن اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام أو عبد الصليب وأعلن التثليث

(١) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص٢١٧.

(٢) السابق ـ ص ٢١٥.

(٣) التنبيه والرد ص ١٥٤.

(٤) السابق ـ ص ١٥٥.

ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله» (١).

نرى مما تقدم أن السبب في نشأة المرجئة يتمثل في مسألة الايمان والكفر وهي مسألة دينية فلسفية لا علاقة لها بالسياسية إن كانت مولدة عن الخلاف حول الامامة أي أن نشأة المرجئة لم تكن كما يرى البعض حين أرجع نشأة المرجئة الى الجانب السياسي وأن هدفهم هو مهادنة الحكومة الأموية معتمدين في حكمهم هذا أولاً على مهادنة المرجئة للخلفاء الأمويين وتأييدهم لهم وثانياً على الثورات التي قام بها رجالهم كثورة الحارث بن سريج وسعيد بن جبير في أوائل القرن الثاني.

ولا ريب أن المرجئة اعتبروا الحكام الأمويين شرعيين في خلافتهم لأنهم سيطروا على الخلافة بالبيعة وهذا ما نصّ عليه الإسلام كما أنهم لم يهادنوا حزباً دون آخر بل كان حكمهم وقولهم وسطا بين جميع الأطراف المتنازعة وعلى هذا اعتبروا كل هذه الأحزاب مؤمنين لأنهم لم يكفروا أحدا ولم يتبرأوا من أحد. أما بالنسبة لاشتراك رجالهم في الثورات القائمة على الأمويين فهذا أولاً يثبت أنهم لم يهادنوا، ولا نستطيع أن نبنيه على نشأتهم فإذا اتصلوا بالسياسة فإن اتصالهم كان لاحقاً على نشأتهم وليس سابقاً، وكما يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس «فمذهب المرجئة مذهب ديني فلسفي وموضوعه البحث عن حقيقة الايمان وعلاقة العمل به وشأنه شأن المعتزلة في دور نشأته وكانت غايته التي يهدف إليه أصلاً الامتناع عن التسرع في اصدار أحكام على أعمال الصحابة والتابعين»(٢). ولعل سائلا يسأل ألم تكن

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ج٤ ـ ص ٢٠٤.

(٢) النظريات السياسية الإسلامية ـ ص ٧٢.

مسألة الايمان مولدة عن مسألة سياسية محضة وهي الامامة؟

أقول لهذا السائل بلى، إن هذه المسألة لم تكن إلا نتيجة مباشرة للخلاف الذي احتدم بين المذاهب الإسلامية في القرن الأول حول الامامة لكن المسألة التي تناقشوا حولها من جديد تكاد تختلف عن المسألة السابقة فهي هنا مسألة عقائدية لاهوتية وليس مسألة سياسية ومن هنا نشأت المرجئة.

المعتزلــــة

تعد نشأة المعتزلة نتيجة طبيعية لذلك الخلاف الذي حدث بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء حول الحكم في مرتكب الكبيرة. وللباحثين أراء في هذه النشأة والتسمية، فالبغدادي يرجع نشأتهم لفتنة الأزارقة فيقول «لما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق بين منزلتي الكفر والايمان» (١). وهذا ما يميل اليه «الشهرستاني» (٢) و«الاسفرايني» (٣) مع اختلاف فيما بينهم حول الرواية.

لكن النوبختي يرجع هذه النشأة وتسميتها إلى الخلاف الذي حدث في أثناء خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويرى «أن الجماعة التي اعتزلت مع سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، عليا وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه.. فسموا المعتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى أخر الأبد» (٤). وصاحب المنية والأمل يرى أن النبي ﷺ هو الأساس في الاعتزال فيقول «لقد أخذ واصل مذهب الاعتزال عن أبي هاشم عبدالله وأخذه هذا عن أبيه محمد ابن الحنفية وهذا عن والده علي بن أبي طالب وأخذ علي عن النبي ﷺ» (٥)

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٨.

(٢) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ٥٢.

(٣) التبصير في الدين ـ ص ٤٠.

(٤) فرق الشيعـــــة ـ ص ٥.

(٥) المنية والأمل ـ احمد بن يحيى المرتضى ص ٥٠٤.

كما أن الملطي في كتابه التنبيه والرد يقول «هم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية، وسلم اليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة» (١).

ونلاحظ من الأقوال السابقة أن بعض السلف يرجعون هذه التسمية والنشأة الى الخلافات التي حدثت بين المسلمين في أوائل القرن الأول، وذهب إلى هذا الاعتقاد بعض الباحثين المحدثين كالأستاذ أحمد أمين والمستشرق نالينو وربطوا بين المعتزلة الأوائل القائمين على الفتن السياسية وبين معتزلة واصل بن عطاء القائمين على الكلام والفكر والفلسفة يقول الأستاذ أحمد أمين «إن هذه الكلمة سميت بها فئة خاصة قبل مدرسة الحسن البصري بنحو مائة عام وأن اطلاقها على مدرسة واصل بن عطاء وعمر ابن عبيد كان احياء للاسم القديم لا ابتكاراً، وأنه من العسير علينا أن نصدق هذا الاسم» (٢).

أما نالينو فقد أجهد نفسه وحاول الربط بين هاتين الفئتين بشتى الطرق والوسائل معتمداً في ربطه هذا على ثبوت تسمية الأوائل بهذا الاسم أولاً، ثم على قول واصل بن عطاء ثانياً، فالحكم الذي أصدره واصل حسب رأي نالينو كان محايداً ومهادناً للجميع وهذا يدل حسب قول نالينو على عدم الخوض في النزاع السياسي، ويخرج أخيرا بنتيجة ويقول «ماكان المعتزلة الجدد

---

(١) التنبيه والرد ص ٣٨.

(٢) فجر الإسلام ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

والمتكلمون في الأصل إلا استمراراً في ميدان الفكر والنظر للمعتزلة السياسيين والعمليين» (١).

ويقف عدد كبير من الدارسين المتحدثين موقف الضد من الآراء السابقة وعلى رأس هؤلاء الدكتور عبدالحكيم بلبع والدكتور محمد ضياء الريس والدكتور علي سامي النشار الذي يقول «ولا بأس أن يطلق على هؤلاء الصحابة جميعاً لقب المعتزلة ولكن لا يمكن اعتبار هؤلاء أسلاف المعتزلة» (٢).

أما الدكتور عبدالحكيم بلبع فيقول «إن الذي يرى أن هناك علاقة بين معتزلة واصل ومعتزلة الأوائل فمن الممكن أن يقال إن الشبه بينهما شبه الاسم فقط، أما من الناحية الفكرية الموضوعية فلا توجد علاقة بين هؤلاء وأولائك» (٣). أما الأستاذ محمد الريس فيقف من الأستاذ أحمد أمين موقف الضد فيقول «إن الأستاذ أحمد أمين لم يقدم في بحثه المستفيض أي دليل على هذه الدعوى غير هذا الاتفاق في اطلاق اللفظ على الجماعتين مع أنه يعترف بأنه كان بينهما نحو مائة عام فأين وجه الشبه هذا الذي يزعم أنه موجود بين مبادئهما وأعمالهما» (٤).

يبدو لنا من الآراء السابقة أننا أمام رأيين متناقضين الأول يرى أن النشأة والتسمية كانت قديمة ونتيجة للخلاف بين الأحزاب السياسية، أما الرأي الثاني فهو تلك الحادثة التي دار حولها نقاش في مجلس الحسن البصري.

---

(١) التراث اليوناني ـ ص ١٩١.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي ـ ج١ ـ ص ٥٣.

(٣) أدب المعتزلة ـ ص ١١٢.

(٤) النظريات السياسية ـ ص ٦٣.

ونحن مع الرأي الأول في أن التسمية كانت في العهود الأولى ولا نزاع عليها لكن الربط بين الأوائل والمتأخرين لا يوجد ما يبرره فالعلاقة حسب رأيي بين الفئتين كانت علاقة اسم فقط فالمعتزلة الأوائل كان اعتزالهم سياسياً محضاً أما معتزلة واصل فقد كانت قائمة على أسس فلسفية عقائدية كلامية ليس لها أي اتجاه سياسي معين لا محايد ولا متشدد كما ذهب نالينو، ولو نظرنا إلى الحكم الذي أتى به واصل لوجدنا أنه لا يقل تشدداً من حكم الخوارج على مرتكب الكبائر، ولو كان المعتزلة مهادنين أو محايدين لما اضطهدهم الأمويون.

وأطلق على المعتزلة ألقاب كثيرة منها ما أطلقوه على أنفسهم ومنها ما أطلقه غيرهم عليهم، وما أطلقوه على أنفسهم كما يقول الهمذاني «المعتزلة أهل التوحيد، المنازلية، القدرية، المنزهة أهل التنزية» أما ما أطلقه غيرهم عليهم، «المعتزلة، التضاد، المعطلة، الجهمية، مخانيث الخوارج، المبتدعة» (١).

وحسب رأيي أن هذه الألقاب التي لقب بها المعتزلة ترجع إلى أصولهم ومبادئهم، فالمعتزلة لقبوا بهذا اللقب نتيجة لاعتزالهم قول الجماعة والموحدة لقولهم بالتوحيد، والعدلية لقولهم «إن الله تعالى لا يحب الشر والفساد وهو بريء من كل ذلك ولا يحلق ولا يفعل إلا ما فيه مصلحة للعباد» (٢).

والجهمية لقولهم بما قال به جهم بن صفوان ويقول الشيخ القاسمي «سموا بهذا الاسم لأنهم أخذوا عن الجهمية القول بنفي الرؤيا والصفات وخلق القرآن ووافقتها عليها إن كان

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة - ج١ - ص١.

(٢) مقدمة الإنتصار ص ٥٠.

لكل فروع واختيارات ما للأخرى إلا أن ما توافقوا فيه هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد فلذلك أطلق لفظ الجهمية على المعتزلة» (١).

أما الوعيدية لقولهم «إن الله صادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة» (٢). أما مخانيث الخوارج «لموافقتهم بين المنزلتين» (٣). أما القدرية كان نتيجة لقولهم بحرية الارادة ونفي الجبر. ولقب القدرية اختلف حوله الباحثون فالبغدادي في حديثه عن فرق القدرية لا يفرق بين المعتزلة والقدرية» (٤)، وزهدي حسن جاد الله يقول «القدرية هم ورثة المعتزلة» (٥)، ويميل إلى هذا القول أيضاً دي بور وفون كريمر» (٦) وجولد تسيهر ويعدوهم أيضاً «امتداداً للقدرية» (٧).

لكن نالينوا لا يوافق على قول جولد وفون كريمر ويقول «ليس بصحيح إن المعتزلة كانوا في الأصل فرعاً أو استمراراً للقدرية في القرن الأول وإن نقطة ابتدائهم كانت مذهب الاختيار وحرية الارادة» (٨).

ولا ريب أن مسألة القدر ناقشها المعتزلة وجادلوا مخالفيهم فيها وقالوا بحرية العبد واختياره، وصحيح أنها من المسائل التي كانت سبباً في نشأة

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٧٩.

(٢) الانتصار ص ٥١.

(٣) التبصير في الدين ص ٤١.

(٤) الفرق بين الفرق ـ ص ٩٣.

(٥) المعتزلة ص ١٣.

(٦) التراث اليوناني ـ ص ١٧٧.

(٧) العقيدة والشريعة ـ ص ٨٩.

(٨) التراث اليوناني ـ ص ١٩٢.

هذا الفرقة، ولكن ذلك كان سبباً ثانوياً لا أكثر، ولا نستطيع أن نلقبهم بهذا اللقب لقولهم هذا، فالمسائل التي اختلفوا حولها ونادوا ببعضها كانت كثيرة، وافقوا البعض واختلفوا مع الآخرين، وموافقتهم هذه لا تعني أنهم كانوا من أتباع هذا المذهب، فلم يكونوا قدرية ولم يكونوا جبرية، بل إنهم وافقوا القدرية والجبرية في بعض آرائهم وكما يقول الخياط «إن هناك من كان يوافق المعتزلة في أمر دون أمر آخر، فالبعض منهم يوافقهم» في العدل ويقول بالتشبيه والبعض يوافقونهم في التوحيد ويقولون في الجبر والبعض يوافقونهم في العدل والتوحيد ويخالفونهم في الوعيد والأسماء والأحكام» (١).

ولا شك أن المسائل التي اختلف حولها المسلمون في أواخر القرن الأول كانت كثيرة منها كما رأينا الحكم في مرتكب الكبيرة والصلة بين الايمان والعمل وغيرها من المسائل، أما مسألة القدر والجبر فقد انقسم المسلمون على اختلافهم إلى قسمين، منهم من قال بالجبر ومنهم من قال بالاختيار، فالذين قالوا بالجبر اعتمدوا على آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (٢). أي أن الإنسان في نظر هؤلاء مجبر في أعماله وأن الله هو الذي يهب الضلال والهدي، أما القائلون بالاختيار فقد اعتمدوا على قوله تعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٣)، أي أن

---

(١) الإنتصار ص ٩٢.

(٢) الكهف ٢٩.

(٣) التوبة ١٠٥.

الانســــان مـختـار وأنه مسئـــول عن أعمـاله وهذا ما مـالت اليـه المعتـزلة. لذلك لا نستطيع القول بأنهم كانوا امتـداداً للقدرية بل إن نشـأتهم كانت فـجأة وبدون مقدمات.

والمعتزلـــة على اختلاف فـرقهــــا اتفقت كما يروي الشـهرسـتاني على آراء في جـملتـهـا «أن كـلام الله مـحـدث مـخلوق في مــحل، وأن الارادة والسمـــع والبصـر ليست معاني قائمة بذاتها وأن رؤيـــة الله تعالــى بالابصـــار في دار القـــرار ونفي التشبيـه عنهم من كل وجه وأن العبد قـــادر خالق لأفعالــــه خيرها وشـرها وأن الله لا يفعل إلا الصـــلاح والخيـر وأن المؤمـــن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحـــق الثواب والعوض» (١).

---

(١) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ٤٩.

الفصل الثاني

مذاهب ومعتقدات منحرفة

مذاهب ومعتقدات منحرفة

كان إلى جانب الفرق والمعتقدات الاسلامية التي هدها القرن الثاني الهجري ومعتقدات تتنافى مع الاسلام وتعاليمه ولا تمت له بصلة من قريب أو من بعيد، ولا يطمع أتباعها والقائمون عليها إلا تشكيك المسلمين بدينهم وعقيدتهم الاسلامية، ونحن لو حاولنا إرجاع هذه المعتقدات الشاذة الفاسدة التي أخذت بها بعض الفرق المذهبية إلى جذورها الأساسية لوجدنا أنها لا تعود إلا لأولئك الغوغائيين الذي ظلوا برغم اسلامهم يبطنون عقائد أبائهم القديمة وشعوذات وأساطير أجدادهم الموروثة.

ظل هؤلاء الناقمون كالخفافيش يعملون في الظلام ضمن خطة أحكموا بدقة رسمها، فتوزعوا بين الفرق المذهبية المتصارعة والمتناحرة توزيعاً جيداً يسمح لهم من خلاله بث سمومهم وأحقادهم ومعتقداتهم الخبيثة، وكان لهذه الطائفة الفاسدة الحاقدة ما تمنته، فما أن قارب القرن الأول على الانتهاء حتى وجدنا العديد من الفرق المذهبية تنادي بآراء ومعتقدات موغلة في الكفر والالحاد، وهذا لا يعود إلا لضعاف الايمان وذوي النفوس المريضة الذي انجروا بكل سهولة وراء هذا التيار العقدي الفاسد، وصدقوا أقوال هؤلاء الدخلاء، وصاروا ينادون بها بعد أن صبغوها بآرائهم ومعتقداتهم الاسلامية.

ولم يكتف هؤلاء بغرس أفكارهم وأرائهم في عقول الناس، بل اتجهوا الى وسائل أخرى قد تكون في نظرهم من بين العوامل التي تساعدهم

في تحويل دعائم الدين الجديد بعد تشكيك المؤمنين به، فاتجهوا الى كتاب الله يحرفون فيه ما يوافق أهواءهم وحسب مصالحهم الشخصية والدينية والسياسية، وإلى سنة نبيه يدخلون فيها الأحاديث الكاذبة والباطلة بعد أن نسبوها للرسول صلوات الله عليه مؤكدين على صحتها وصدق راويها، وها هو ذا عبدالكريم بن أبي العوجاء كما رأينا سابقاً يضع آلاف الأحاديث المدسوسة ويعترف بعمله هذا بكل صراحة ووقاحة.

ولم يكن عبدالكريم بن العوجاء الشخص الوحيد المندس الذي سمح لنفسه بهذا العمل الذي لا يقدم عليه إلا كل ناقم وجاحد لهذا الدين، بل كان هناك العديد من أمثاله، وعبدالكريم اعترف بعمله هذا لكن غيره لم يعترف وظل يعمل في الخفاء ولم يقبض عليه واستطاع أن يوصل الأمانة التي ألقيت على كاهله من أجداده وملقنيه.

وهؤلاء الفاسقون لم يعملوا كما قلنا ضمن جماعة أو فرقة معينة، بل انخرطوا داخل جميع الفرق التي تولدت منذ مطلع القرن الأول الهجري، فمنهم من عمل ضمن نطاق المعتزلة ومنهم ضمن المرجئة ومنهم من عمل ضمن نطاق الخوارج، لكن الأغلبية انخرطت بين صفوف الشيعة لأسباب ذكرناها سابقاً، لهذا كانت الشيعة من أكثر المذاهب الاسلامية تعداداً للفرق الضالة الخارجة في آرائها ومعتقداتها عن العقيدة الإسلامية.

غــــلاة الشيعــة

ومن أول فرق غلاة الشيعة «السبئية» أتباع عبدالله بن سبأ، وهذا ما يؤكده الطبري في قولـــه «كان مـــن أهل صنعاء من أمة سوداء، أسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهـــم» (١). وابن سبـــأ هذا أول من ابتدع في الاسلام، وأول بدعـــة له كانت في حياة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، فقد نادى بألوهيـــة علي قـائـــلاً لــــه «أنت أنت الاله» (٢) فنفاه علي إلـــى المدائـــن واستطاع قتل بعض أتباعه وتفريق بعضهم الآخر.

وأمـــا البدعة الثانية التي ابتدعهـــا ابن سبأ فقد كانت بعد مقتل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فأنكر ابن سبأ موته وقـــال «إنه لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويرد جميع الناس على دين واحد قبل يوم القيامة» (٣) وقول ابن سبأ هذا لم يكـــن صادراً إلا لاعتقاده أن عليا جزء إلهي، والإلـــه لا يموت ولا يجوز أن يموت، وهذا ما يقرره الشهرستاني في قوله «قال ابن سبأ في علي إنه حي لم يمـــت ففيه الجزء الإلهي ولا يجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجيء فـــي السحاب والرعـــد صوته والبرق تبسمه وأنه سينزل بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» (٤) والقـــول بالرجعـــة صار بعد ابن سبـــأ من أهم

---

(١) الطبري ج٤ - ص ٢٢٢.

(٢) الملل والنحل ج١ - ص ١٨٠.

(٣) الحور العين - أبو السعيد بن نشوان الحموي ص ١٤٤.

(٤) الملل والنحل ج١ - ص ١٨٠.

اعتقادات الشيعة ما عدا الزيدية التي لم تقر ولم تعترف برجعة الأئمة، أما غيرها من فرق الشيعة فقد اقتصر بعضهم على القول برجعة الامام و وبعضهم أوغل في هذه الرجعة وعد رجعة الامام جزءاً الهياً في الامام.

ومن الشيعة «البيانية» اتباع «بيان بن سمعان التميمي» (١) وينسبها البعض «لبنان بن اسماعيل الهندي» (٢). وفي اعتقادنا أن الاختلاف حدث عن طريق التحريف في الاسم دون المعتقدات، لأننا لو نظرنا إلى المعتقدات التي تنسب الى بيان لوجدنا أن الأشعري والرازي يتفقان فيما بينهما. والبيانية تفرعت عن الكيسانية، ونادت بالإمامة بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمد، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان» (٣)، الذي ادعى بعد وفاة أبي هاشم أنه احق بالإمامة من غيره، لأنه نبي هذه الأمة مؤولا قوله تعالى ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة﴾ (٤) مدعياً أن كلمة بيان التي وردت في هذه الآية دليل على صدق دعواه واثبات اعتقاده، فاتبعه خلق كبير إلا أن خالد القسري الوالي لم يتركه طويلاً فألقي القبض عليه وقتله وصلبه، وقتل من بعد أصحابه وفرقهم في البلاد.

واضافة إلى اعتقاده بيان بالنبوة فقد قال بالتشبيه وكان يقول «إن الاله الأزلي رجل من نور وإنه يفنى كله غير وجهه» (٥) مؤولاً قوله

---

(١) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص ٦٦.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(٤) آل عمران ١٣٨.

(٥) الفرق بين الفرق ـ ص ٢٢٨.

تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (١).

ولما قتل بيان اختلف أتباعه فيما بينهم فقالت طائفة «إنه كان نبياً وإنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ، ومنهم من قال إنه كان إلهـــاً، وذكر هؤلاء أن بياناً قال لهم: إن روح الاله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبدالله بن الحنفية ثم انتقلت إليه» (٢). وكانت هذه الأقوال التي نادى بها بيان وأتباعه من بعده سبباً في اخراج هذه الفرقة من حظيرة الفرق الاسلامية، وعدها السلف من الفرق الضالة الكافرة.

ومن غلاة الشيعة «الحربية» اتباع عبدالله بن حرب الكندي (٣) كان ابن حرب يوافق بيان بن سمعان في كثير من الآراء والمعتقـــدات الغالية، وهذا الاتفاق أشار إليه البغدادي في قوله «كان ابن حرب على دين البيانية في دعواهـــا أن روح الاله تناسخت في الأنبيـــاء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية» (٤) ولما مات أبو هاشم أخذ ابن حرب يدعو لنفســه وقال إن الامامـــة انتقلـــت إليه من عبـــدالله بن محمد ابن الحنفية.

وكما قال ابن حرب بتناسخ الأرواح في الأئمة والأنبياء قال أيضاً بتناسخ الأرواح في الأشخاص العاديين، كما أن الثواب والعقاب يكون من خلال هؤلاء الأشخاص يقول الشهرستاني «كان ابن حرب يقول إن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وإن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، أما

---

(١) القصص ٨٨.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(٣) السابق – ص ٢٣٣.

(٤) الفرق بين الفرق – ص ٢٣٤.

أشخاص ابن آدم وأما أشخاص الحيوانات، وإن روح الله تناسخت حتى وصلت إليه» (١).

وكما نادى ابن حرب بالتناسخ نادى بالألوهية واعتبر نفسه إلهاً كما اعتبر نفسه في الوقت ذاته نبياً، أي أنه مزج بين الاعتقادين. وإضافة الى أقواله هذه فقد قال إنه عالم بالغيب، كما أنكر يوم القيامة وهذه المعتقدات كانت سبباً في أن يعده مؤرخو الفرق من الفرق الخارجة عن الإسلام.

ومن غلاة الشيعة «المنصورية» اتباع أبي منصور العجلي الذي قال إن الامامة انتقلت اليه من بعد محمد بن علي الباقر، وقال إن محمداً أوصى له بها من بعده دون بني هاشم، وهذا ما يراه النوبختي يقول «إنه ادعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده، ثم تراقى به الأمر إلى أن قال كان علي بن أبي طالب عليه السلام نبياً ورسولاً، وكذلك الحسن وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا نبي ورسول، والنبوة في ستة من ولدي يكونون أنبياء من بعدي آخرهم القائم»(٢).

ولم يكتف أبو منصور العجلي بهذا الحد من الكفر والالحاد بل تعداه إلى أكثر من ذلك وقال «إن الرسل لا تنقطع أبداً، والرسالة لا تنقطع، وإن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام، وأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله بمعاداتهم، وتأول الفرائض

---

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٥٤.

(٢) فرق الشيعة ص ٣٤.

على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلالهم نساءهم» (١).

وأبو منصور يعتبر نفسه واتباعه هم وحدهم أصحاب هذا الدين وكل من خالفهم في آرائهم فهو ضال كافر، أما هم فيعتبرون أنفسهم المسلمين الحقيقيين وما دونهم كفره ملحدين، أما الاعتقاد الذي امتاز به أبو المنصور عن غيره من الفرق الضالة فهو خنق أطفال مخالفيهم من الفرق الأخرى وهذا الاعتقاد كان سببا في فزع الناس من أتباعه، وحاول خالد القسري قتله كما قتل بياناً إلا أنه أفلت من قبضته، وظل متنقلاً بين البلاد ناشراً معتقداته بين الناس، وظل على هذا الحال حتى خلافة المهدي الذي بعث له أعوانه وألقوا القبض عليه بعد مشقة وعناء وأحضروه له فأمر بقتله وصلبه. وصحيح أن خالداً قتل بياناً وفرق شمل جماعته وأتباعه، وصحيح أن المهدي قتل أبا منصور العجلي، لكنه في الواقع لم يستطع قتل معتقداتهم التي عمت أنحاء المجتمع الإسلامي وأخذ الناس يتناقلونها ويتحدثون فيها.

ولما قتل أبو منصور انقسمت المنصورية الى طائفتين، طائفة أطلق عليها الحسينية، وطائفة اطلق عليها المحمدية، وكلتا الفرقتين أوغلت في الكفر والالحاد وعدتا من الفرق الضالة الفاسقة، حتى أن ابن حزم وضعهما في رتبة الخزمية وعدهما صنفاً منها (٢). والخزّمية التي يشبه ابن حزم المنصورية بها احدى الفرق الفارسية القديمة التي كانت سائدة قبل الاسلام، ولما جاء الاسلام اعتنق بعض أتباع هذه الطائفة الدين

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل - ج٢ - ص ١٥٤.

(٢) السابق ص ١٥.

الجديد وظلوا مخلصين لعقيدتهم الخرمية القديمة وظلوا يعملون في الظلام حتى أعلنوا ثورتهم غير مبالين بالاسلام ولا بتعاليمه في عهد الخليفة المأمون في مطلع القرن الثالث الهجري.

ومن غلاة الشيعة «الخّطابية» التي تفرعت عن الامامية، وتنسب لأبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، الذي كان صديقاً لاسماعيل بن جعفر الصادق، ولما مات اسماعيل أخذ أبوالخطاب يدعو لمحمد بن اسماعيل وينادي بأحقيته في الامامة بعد والده إلا أن محمداً تبرأ منه فيما بعد نظراً للآراء والمعتقدات التي أخذ ينادي بها أبو الخطاب يقول البغدادي «كان أبو الخطاب يقول إن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بآلهية جعفر ابن محمد وآلهية آبائه رضي الله عنهم، وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار، وأن جعفراً هو الاله في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى حد هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها» (١).

إضافة الى المعتقدات السابقة التي ينسبها البغدادي لأبي الخطاب نرى أيضاً الحموي يروي عن الخطابية «أنهم استحلوا شهادة الزور لمن وافقهم في دينهم على من خالفهم في الأحوال والأصول والدماء، وأن دماء مخالفيهم وأموالهم ونساءهم حلال» (٢).

وأبو الخطاب لم يكن يعمل فقط لينشر هذه المعتقدات بين جماعة معينة فحسب بل حرص على بثها بين الناس عامة لعله يصل إلى غايته بل استحياء

---

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٨٦.

(٢) الحور العين ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

ولا خوف من السلطان بعد أن لاحظ أنه من غير الممكن محاربة هذا الدين الجديد بالسيف، فهذا الطريق في نظره مليء بالشوك والمصاعب لذلك اتجه إلى الطريق الآخر، وفضل كغيره الاشتغال والعبث بعقول الناس ومحاربتهم بآرائه وهو السلاح الذي يحقق مآربه وأغراضه، وبعد وفاة أبي الخطاب لم تندثر ولم تمت أفكاره ومعتقداته، بل على العكس فقد شطّ أتباعه من بعده في أقوالهم وانقسموا على أنفسهم إلى أكثر من فرقة، كل فرقة غالت في معتقداتها أكثر من الفرقة الأخرى.

ومن فرق الخطابية «العميرية» أتباع «عمير بن بيان العجلي» (١) والأشعري يطلق عليها «العجلية» (٢). وهذه الفرقة غالت في معتقداتها بقدر لا يتصوره العقل، فقد اعتبرت جعفراً نبياً وعبدته وقالت إنه ربها وهذا ما يؤكده صاحب الحور العين في قوله «إنهم عبدوا جعفراً كما عبده المتقدمون وزعموا أنه ربهم، وضربوا خيمة في كناسة الكوفة، ثم اجتمعوا يلبون لجعفر ويدعون لعبادته» (٣). والفرقة الثانية من الخطابية هي «المعمرية» ويسمون أيضاً «اليعمرية» وقد قالوا «إن الامام بعد أبي الخطاب معمر وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي ما يصيب الناس من العافية والخير وأن النار هي ما يصيب الناس من خلاف ذلك» (٤).

---

(١) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٨٧.
(٢) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص ٧٧.
(٣) الحور والعين ـ ص ١٦٧.
(٤) السابق ـ الموضع نفسه.

والمعمرية في قولها السابق تنكر القيامة وتنكر الحساب والثواب الموكل لله تعالى، ولم تكتف هذه الفرقة بانكار يوم القيامة بل قالوا أيضاً بالتناسخ وأنكروا الموت واستحلوا الخمر إلى غير ذلك من الفواحش يقول الحموى قالوا «إنهم لا يموتون ولكن ترفع أرواحهم الى السماء وتوضع في أجساد غير تلك الاجساد واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ونادوا بترك الصلاة» (١). وهم في اعتقاداتهم هذه يهدمون دعائم الاسلام وأسسه التي قام عليها وطالب باتباعها.

والفرقة الثالثة هي «المفضلية» زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفي، وقالوا بربوبية جعفر دون نبوته، وهم في اعتقاده هذا كالمعمرية «انتحلوا النبوة والرسالة وخالفوهم في البراءة من أبي الخطاب فقط لأن جعفراً أظهر البراءة من أبي الخطاب» (٢).

والفرقة الرابعة «البزيغية» نسبة الى بزيغ (٣)، الذي لم تزودنا الكتب باسمه كاملاً، والاسفراييني يطلق على هذه الفرقة «الزبيغية» (٤). وبزيغ هذا تبرأ من أبي الخطاب، إلا أنه وافق الخطابية في قولهم بألوهية جعفر وزعم «أن جعفراً هو الاله، أي ظهر الاله بصورته الخلق، وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه من الله» (٥)، مؤولاً قوله تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ (٦).

---

(١) الحور العين ـ ص ١٦٧. (٢) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٨٦.

(٣) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص ٧٧.

(٤) التبصير في الدين ـ ص ١١١.

(٥) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٨٠.

(٦) آل عمران ١٤٥.

والخطابية على اختلاف فرقها عدها السلف من الفرق الضالة الكافرة نتيجة لأقوالها التي أوغلت فيها وطبقتها على مذهبها.

ومن غلاة الشيعة أيضاً «المغيرية» أتباع المغيرة بن سعيد العجلي مولى خالد بن عبدالله بن الحسين وكان يدعو لامامة محمد بن علي بن الحسين الخارج بالمدينة، ولما قتل محمد أخذ يدعو لنفسه وادعى النبوة وغلا في حق الامام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه غلوا فاحشاً ونادى بالتشبيه وقال «إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور وعلى رأسه تاج من نور، وله قلب ينبع من الحكمة» (١). ومن أقواله في التشبيه «إن الله على صورة حروف الهجاء وإن الألف مثال قدميه والعين عينه، وشبه الهاء بالفرج» (٢)، كما أنه ادعى «احياء الموتى» (٣).

وكما تحدث المغيرة في التشبيه وادعى النبوة قال أيضاً ببدء الخلق وقال «إن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم فطار فوقف على رأسه تاجاً» (٤)، مؤولاً قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى﴾ (٥). والمغيرة في اعتقادنا كان من أكثر الغلاة تطرفاً وفحشاً في الآراء، إضافة إلى أنه يعد من أخطر الشخصيات الملحدة نظراً لكثرة ما قام بتأويله من آيات قرآنية ليؤكد أقواله ويبرر معتقداته

(١) الفصل في الملل والنحل ـ ج٢ ـ ص ١٢.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٩.

(٣) فرق الشيعة ص ٥٥.

(٤) الفصل في الملل والنحل ج٢ ـ ص ١٢.

(٥) الأعلى ١.

التي ينادى بها. وأهمية هذه الشخصية وخطرها تحدث عنها الدكتور محمد جابـــــر عبدالعال بقوله «إنه المغيرة يعد من أكبر الشخصيات التي ظهرت في عالم الغلو والمتطرفـــين من المتشيعـــين وله أثر عميق فيهم، وكان لتعاليمه أثر قوي في نفوسهم جعلها تعيش قروناً من بعده. (١)

ونحن لو حاولنا النظر والتدقيق فيما أثر عنه من آيات عبث فيها وأولها لمصلحته الشخصية لوجدنا أن قولنا السابق وقول الدكتور محمد صائب كل الصواب، فهو حين يحط من شأن أبي بكر رضي الله عنه يؤول قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ (٢). و«الظلوم والجهول في نظر المغيرة هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه» (٣)، وكما حطَّ من قيمة أبي بكر حط أيضاً من قيمة عمر ووصفه بالشيطان مؤولاً قوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال إني بريء منك﴾ (٤)، والشيطان في نظرة المغيرة هو «عمر بن الخطاب رضي الله عنه» (٥). وكما حدث لبيان والعجلي حدث للمغيرة أيضـــاً، فقد قتل وصلب بجوار بيـــان، وكما وعدت البيانية والمنصورية من الفرق الضالة المنحرفـــة وعدت المغيرية من الفرق الملحدة أيضاً.

ومن فرق الغلاة «الجناحيـــة» اتباع «عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن

---

(١) حركات الشيعة المتطرفين ص ٣٦.

(٢) الاحـــزاب ٧٢.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣١.

(٤) الحشـــر ١٦.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٣١.

جعفر بن أبي طالب» (١). ومن أهم ما نادت به هذه الفرقة القول بتناسخ الأرواح وقالت: «إن روح الله تحل في الأنبياء والأئمة، وتنتقل من بعضهم إلى بعض» (٢). وإلى جانب قولهم بالتناسخ فقد «أنكروا القيامة والجنة والنار، واستحلوا الزنا واللواط وشرب الخمر كما استحلوا الميتة كما أنهم لا يرون وجوب الصلاة والصوك والزكاة والحج» (٣). ولإثبات معتقداتها السابقة أولت قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصلحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا﴾ (٤).

ونستخلص من أقوال هذه الفرقة أنهم أكثر الفرق فحشاً والحاداً، فهم حين ينادون بترك الصوم والصلاة والزكاة يسقطون الفرائض العملية التي يطالب الإسلام من معتنقيه القيام بها. فها هي ذي المبادئ التي قام عليها الإسلام وها هي ذي الجناحية تطالب ببطلانها، أليس هؤلاء كفاراً ضالين؟

وإضافة إلى أقوالهم السابقة فقد حرفوا في آيات كتاب الله كما يحلو لهم وقالوا أيضاً بالتناسخ يقول الأشعري «كان عبدالله بن معاوية يدعي أن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب، وأن الأرواح تناسخت وأن روح الله جل اسمه كانت في آدم، ثم تناسخت حتى صارت فيه» (٥). وتطرفه اعتقاداته هذه كانت سبباً في أن يقتله أبو مسلم الخراساني. وبعد مقتله افترقت الجناحية إلى ثلاث فرق، وأكثر هذه الفرق فحشاً وضلالة فرقة

---

(١) التبصير في الدين ص ١١٠.

(٢) السابق - الموضع نفسه.

(٣) التبصير في الدين - ص ١١٠.

(٤) المائدة ٩٣.

(٥) مقالات الإسلاميين ج١ - ص ٦٧.

«الحارثيـــة» أصحاب رجل يقال له «عبدالله بن الحارث» (١). والجناحيــة على اختلاف فرقها عدت من الفرق الضالة المنحرفة.

ومن غلاة الشيعة أيضاً «الغرابيـــة» أطلق عليها هذا اللقب لقولها «إن عليا أشبه من الغراب بالغراب» (٢). ومن أقوال هذه الفرقة أيضاً «إن الله تعالى أرسل جبريل إلى علي، فغلط جبريل وأدى الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهـــة بين علي ومحمد» (٣). وهذه الفرقة عدها البغدادي من الفرق الكافرة.

ومن الغلاة أيضا «المفوضيـــة» وقد شبه البغدادي المفوضيـــة بالمجوس لقولهم: «إن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض إليه تدبير العالم وتدبيره، فهو الذي خلق العالم دون الله تعالى ثم فوض محمداً تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب، فهو المدبر الثالث» (٤). وهذا القول أكثر ضلالة والحاداً من قول المجوس «إن الاله خلق الشيطان ثم إن الشيطان خلق الشرور، كما أنهم شر من النصارى الذي سموا عيسى عليه السلام مدبراً، وكما يقول البغدادي: «فمن عد المفوضية الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام» (٥).

ومن الشيعة الغالية «الذميـــة».

تتفق هذه الفرقة في معتقداتها إلى حد ما مع المفوضية، فقد ذمت جبريل

---

(١) فرق الشيعـــة ص ٣١.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩.

(٣) السابق ص ٦٠.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٣٨.

(٥) السابق ـ الموضـــع نفســـه.

لأنه أعطى النبوة لمحمد، وأنه أخطأ في عمله هذا، فهي مرسلة لعلي لأنه أحق بها وكما يقول صاحب تلبيس إبليس «إنه كان مأموراً بالنزول إلى علي فنزل إلى محمد» (١). وهذه الفرقة يختلف الباحثون حول تسميتها فالأشعري يطلق عليها لقب «الشريعية» (٢) والبغدادي يطلق عليها «الذمية» (٣) وفي اعتقادنا أن الاختلاف في اسم الشخص الذي تنسب اليه هذه الفرقة دون المعتقدات لأننا لو نظرنا إلى المعتقدات والآراء التي ينسبها الأشعري لهذه الفرقة والمعتقدات التي ينسبها البغدادي لوجدنا أنها متشابهة لا اختلاف بينها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الفرقة التي يذكرها الأشعري هي الفرقة التي يذكرها البغدادي، والاختلاف الذي حل بينهما لم يكن إلا نتيجة الاختلاط والتخبط التي وقعت فيه هذه الفرقة، فتارة تتولى محمداً وتارة تذمه وتارة يقدمون عليه علياً وهكذا...

ومن المعتقدات التي نادت بها الذمية التشبيه والحلول فقد قالت: «إن الله حل في خمسة أشخاص، في النبي وفي علي وفي الحسن وفي الحسين وفي فاطمة، وهؤلاء آلهة» (٤). والشريعة تتفق في قولها هذا المنصورية التي نادت بتأليه النبي وعلي وأولاده.

ومن غلاة الشيعة أيضا «الكاملية» اتباع «أبي كامل» (٥) الذي لم تذكر لنا الكتب اسم صاحب هذه الفرقة كاملاً بل اكتفت بالاشارة الى اسمه

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٠٤.

(٢) مقالات ـ ج١ ـ ص ٨٣.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٨.

(٤) مقالات الإسلاميين ج١ ـ ص ٨٣.

(٥) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٨١.

الأول، وكما قلنا سابقاً إن البغدادي ينسب بشاراً الى هذه الفرقة» (١).
والكاملية في الجملة تقول «إن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي بتركه قتالهم إذ كان واجباً عليه أن يقاتلهم كما قاتل أهل صفين» (٢). فالكاملية في قولها هذا لم تكفّر عمر وأبا بكر وعثمان فقط بل أنها كفرت الصحابة جميعاً دون استثناء بمن فيهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وكما نادت بتكفير الصحابة رضي الله عنهم نادت أيضاً بالتناسخ فقالت: إن الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة، وفي شخص يكون امامة، وربما تتناسخ الامامة فتصير نبوة» (٣). كما أنهم قالوا بتناسخ الأرواح.

ومن الشيعة الغلاة «الهشامية» اتباع هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيع (٤). وكلا الهاشمين أوغلا في الكفر والالحاد، فهشام بن الحكم كان يقول «إن معبوده ذو حد ونهاية، وإنه طويل عريض وعميق، وإن طوله مثل عرضه مثل حد عمقه، وإنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة، كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها» (٥). وسار هشام ابن سالم الجواليقي على نفس الدرب الذي سار عليه هشام بن الحكم في التشبيه، وقال: «إن معبوده على صورة الانسان، ولكنه ليس

---

(١) انظر فضل مذاهب ومعتقدات اسلامية ـ ص ٦٢.

(٢) التبصير في الدين ص ٣٨.

(٣) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٤) السابق ص ١٨٤.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٤٨.

بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع بياضاً وإنه ذو حواس خمس كحواس الانسان وله يد ورجل وعين وأذن وأنف وفم، وإنه بغير ما يبصر به» (١).

نرى من المعتقدات التي نادت بها الهشامية أنها كانت من أكثر الغلاة افراطاً في التشبيه والتجسيم، ولا شك أن الدارس يتوه ويضل حين يحاول معرفة فرق الشيعة الغالية ومعتقداتها المنحرفة، وذلك لكثرة الفرق التي افترقت عن المذهب الأم وانتشرت في البلاد هنا وهناك تنشر ضلالتها وكفرها، وكان لكل فرقة منها آراء ومعتقدات خاصة بها، ومهما حاولت الكتب القديمة التي اهتمت بنقل الأخبار عن الفرق المذهبية فإنها لم تستطع حصر هذه المعتقدات المنحرفة التي نادت بها فرق الشيعة الغالية، وتظل حسب اعتقادنا ناقصة بعض الشيء، إضافة الى الخلط الذي وقع فيه اصحاب هذه الكتب سواء بقصد منهم أو بدون قصد ومهما حاولنا التدقيق والتمحيص في الآراء والمعتقدات التي نادت بها هذه الفرق إلا إننا سنضيع ونقع في نفس المتاهات التي وقع فيها السلف من قبل، ومهما يكن من أمر فإن ما آثارته لنا الكتب القديمة يكفي دليلاً على أنه كان في القرن الثاني الهجري عدد كبير من فرق الشيعة الغلاة يكادون جميعاً يتفقون على الأصول ويختلفون في الفروع، ومعتقدات غلاة الشيعة بوجه عام تتمثل في القول بالتناسخ وتأليه الأئمة والقول بنبوتهم والتأويل والقول بالرجعة والتشبيه والتجسيم، إضافة الى انكارهم يوم القيامة والحساب والعقاب. فهذه هي أهم المعتقدات المنحرفة التي تتفق بها غلاة الشيعة وما دون ذلك فإنها تختلف فيما بينها اختلافاً بينا.

---

(١) الفرق بين الفرق ـ ص ٤٨.

إلا أن هذا الاخـتـلاف قـائم أيضـا على الضـلالة والكفـر والالـحـاد فـي تلك المعتقـدات التي نادت بها كل فـرقـة على حـدة، إلا أننا نقـول إن هؤلاء الغـلاة يتفقون جميعا على نفس الهدف وإن اختلفت الوسـائل.

غــلاة الخوارج

صـحيح أنه ظهر من الخوارج جماعة ضلت وكفرت ووصل بعضـها في أرائه إلى حد الكفر والالحاد، إلا أن الفرق بينها وبـين غلاة الشيعة فرق كبير سواء أكان في عدد الفرق أم في كثرة العتقدات المنحرفة، ومع ذلك لا نستطيع أن نبرئ غلاة الخوارج من حكمنا عليهم بالكفر بل إننا نضعهم في نفس المرتبة التي نضع فيها غلاة الشيعة.

ومن غلاة الخوارج «الميمونية» المتفرعة من العجاردة، وفرقة الميمونية تنسب إلى «ميمون بن قداح» (١)، وهذه الفرقة تتفق مع المعتزلة في اثبات القدرة للعبد والقول بالاستطاعة فهم يزعمون «أن الله سبحانه وتعالى فرض الأعمال إلى العباد، وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كلفوا، فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعاً، وليس لله سبحانه وتعالى في أعمال العباد مشيئة، وليست أعمال العبد مخلوقة لله» (٢) كما «أباحوا نكاح بنات الأولاد من الاجداد وبنات اولاد الاخوة والاخوات» (٣)، وحرموا «نكاح البنات والأخوات وبنات الأخ وبنات الأخت، وأحلوا ما وراء ذلك» (٤).

ويضيف الأسفراييني اعتقاداً أخر ينسبه لميمون، وهو انكاره سورة يوسف حيث قال «إنها ليست من القرآن» (٥) والميمونية في اعتقاداتهم السابقة يتنافون مع الاسلام وتعاليمه التي نادت بتحريم هذا النوع من النكاح،

---

(١) الحور العيـــن ـ ص ١٧١.

(٢) مقالات الإسلاميين ـ ج١ ـ ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣) الفرق بين الفرق ـ ص ٢٦٤.

(٤) الحور العيـــن ـ ص ١٧١.

(٥) التبصيـــر في الديـــن ـ ص ١٢٣.

ونحـــن مع البغدادي حـــين عد هذه الفرقـة من الفـــرق الخـارجـة عن الاسلام ومعتقداتـــه. (١) لأنـهم يسـتحلون المحارم ومن اسـتحلها فيعد من غير المسلمين.

ومن غلاة الخوارج أيضاً «اليزيديـــة» أتباع يزيد بن أنيسة (٢) كان يعتقد «أن الله سيبعث رجلاً من العجم وينزل عليه كتاباً من السماء، وينزل عليه جملة واحدة، فيترك شريعة محمد ويأتي بشريعة أخرى وأن ملته تكون الصائبة وليس هذه الصائبية الذي ذكرهم الله في كتابه» (٣) إلا أن أنيسة تولى من شهد لمحمد المصطفى بالنبوة، وهذا ما يؤكده الشهرستاني في قوله «وتولى يزيد من شهد لمحمد المصطفى عليه من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل في دينه» (٤).

ومن اعتقادات أنيسة أيضاً «أن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون، ومن ارتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً فهو مشرك» (٥) وهذه الفرقة أخرجها البغدادي من فرق الإسلام (٦) لقولها بنسخ الشريعة الإسلامية.

ومن غلاة الخوارج «الحفصيـــة» أتباع «حفص بن ابي المقدام» (٧) وهذه الفرقة تفرعت عن الأباضية اتباع عبدالله بن أباض، وحاولت أن تفرق بين الشرك والامامة وقالت: «إن بين الشرك والايمان خصلة واحدة وهي معرفة

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٦٥.

(٢) الفصل في الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٨٣.

(٣) الحور العيـــن ـ ص ١٧٥.

(٤) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٣٦.

(٥) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٣٦.

(٦) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ٢٦٣.

(٧) الملل والنحل ج١ ـ ص ١٣٨.

الله تعالى وحده، ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة أو نار وارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه بريء من الشرك» (١). والحفصية في اعتقادهم هذا يبطلون ويسقطون مبدأ من مبادئ الاسلام وفرضاً من فرائضه، فالاسلام كم نعلم يعتبر الايمان شرطاً أساسياً قبل المعرفة، أما الحفصية فهي ترى العكس وتقدم المعرفة على الايمان، وكما نادت بهذا الاعتقاد الفاحش عملت أيضاً في التأويل، وهذا ما لاحظناه عند غلاة الشيعة من قبل، وكما تأولت الشيعة في أبي بكر وعمر تأولت الحفصية في علي وأطلقت عليه صفة الحيران مؤولة قوله تعالى: ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا» (٢). ويطلقون هذا اللقب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشيرين إلى تحيره يوم صفين، وقالوا في علي - رضي الله عنه أيضا إن الله أنزل فيه ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ (٣). وكما تأولوا في مخالفيهم تأولوا أيضا في أتباعهم، فهم حين يمدحون عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، يؤولون قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاه مرضاة الله﴾ (٤). ولقول هذه الفرقة بالمعتقدات السابقة وغلوها في الصحابة وتأويلها آيات من القرآن الكريم عدها المؤرخون من الفرق الضالة الكافرة.

ومن غلاة الخوارج أيضاً «البدعية» أتباع «يحيى بن أصدم» (٥) وهي

---

(١) الفصل في الملل والنحل - ج١ - ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) الانعام ٧١.

(٣) البقرة ٢٠٤.

(٤) البقرة ٢٠٧.

(٥) الملل والنحل ج١ - ص ١٣٧.

متفرعة عن فرقة الصفّرية. وهذه الفرقة اعتقدت أن الجنة من نصيبها ونصيب كل شخص يذهب مذهبهم ويعتقد اعتقادهم، وسيدخلون الجنة بدون إذن من الله، ومن حاول ذكر اسم الله ليدخل الجنة فقد أشرك، ولا يدخل الجنة لأنه كفر بمعتقداتهم، وهذا القول يؤكده الشهرستاني في قوله: «إنهم قالوا إننا على أنفسنا من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة، ولا نقول إن شاء الله، فإن ذلك شك في الاعتقاد، ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فهو شاك فنحن من أهل الجنة من غير شك» (١). فالبدعية ينكرون انكاراً باتاً في أن يكون لله أي علاقة في حساب الناس على أعمالهم شرها وخيرها، فالجنة في نظرهم ملك من ذهب مذهبهم ومن اعتقد اعتقادهم، يمنحونها لمن شاءوا وينكرونها على من شاءوا أيضاً. وهذه الفرقة في اعتقادها هذا تسقط مبدأ من مبادئ الاسلام وركنا من أركانه العملية، وتجحد الله سبحانه وتعالى وتنفي أن يكون له دخل فيما يعمله الناس من فواحش وآثام، كما أنها تنكر ميزان العدل الذي يدخل الانسان عن طريقه إلى الجنة أو النار، وكما أسقطوا هذا المبدأ العملي أسقطوا ركناً آخر من اركان الاسلام وفرضاً من فراضئه وقالوا: «إن الصلاة ركعتان بالعشا، وركعتان بالغداة لاغير ذلك» (٢). فالصلاة في نظرهم ليست كما نصّ عليها الاسلام بل إنها ركعتان في أول النهار وركعتان في آخره مؤولين قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ (٣). فالنهار في نظرهم بداية ونهاية، وكل بداية يلزمها صلاة بركعتين وكل نهاية يلزمها بالمثل ركعتين لا أكثر.

---

(١) الملل والنحل ـ ج١ ـ ص ١٣٧.

(٢) الحور العين ص ١٧٨.

(٣) هـود ١١٤.

نستخلص مما تقدم أن غلاة الخوارج يتفقون مع غلاة الشيعة في بعض المعتقدات الشاذة المنحرفة التي من شأنها زعزعة الاسلام وهدم تعاليمه التي قام عليها بتأويلهم آيات من القرآن الكريم حسب أهوائهم، وانكارهم الجنة والنار، لكن بالرغم من هذا الاتفاق بين غلاة المذهبين إلا أننا نقول إن غلاة الخوارج كان غلوهم ينبع عن طريق تعمقهم في العقيدة الإسلامية وعلى أية حال لا نستطيع أن نبرئ هؤلاء القوم من تهمة الكفر والالحاد التي ألصقناها بالغلاة من الشيعة.

غـــلاة المعتزلــة

وكما ظهر من الشيعة فرق غالت في معتقداتها وأرائها التي وصلت فيها إلى حد الكفر والالحاد ظهرت أيضاً من المعتزلة فرق غالت وأفحشت في معتقداتها. والمعتزلة كما نعلم انقسمت إلى عشرين فرقة عدها المؤرخون القدامى جميعاً من الفرق الإسلامية ما عدا فرقتين فقد عدتا من الفرق المنحرفة عن طريق الإسلام وتعاليمه.

الفرقة الأولى «الحايطيـــــة» أو «الخايطيـــــة» ينسبها البغدادي لأحمد ابن حايط (١) لكن الشهرستاني ينسبها «لأحمد بن خايط» (٢) وفي اعتقادنا أن الاختلاف وقع في النقطة التي فوق حرف الحاء، أما المعتقدات التي نادت بها هذه الفرقة فيتفق عليها البغدادي والشهرستاني وهذا إن دل فإنما يدل على أن الفرقة هي نفسها وإن إختلف حولها البغدادي والشهرستاني، ومهما يكن من أمر فإن أحمد هذا أوغل في الكفر والالحاد وأشرك بالله تعالى وأدعى «أن هناك ربين أحدهما قديم وهو الله سبحانه والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم» (٣) مؤولاً قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ (٤) وأحمد هذا كان صديقاً لرجل من الغلاة يدعى فضلاً الحدثي وكلا الاثنين شطا في معتقداتهما واتفقا على «أن الله ابـــدع خلقه أصحاء سالمـــين عقلاء بالغين في دار سوى هـــذه الـــدار التي هم فيهـــا، وخلق فيهم معرفته والعلم به

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٦٠.

(٢) الملل والنحل - ج١ - ص ٦٣.

الفرق بين الفرق ص ٦٠.

(٤) الفجـــر ٢٢.

وأسبغ عليهم نعمه» (١).

وهذان الكافران كما يقول البغدادي «شاركا الثنوية والمجوس في دعوى خالقين، وقولهم شر من قولهم لأن الثنوية أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى «وأضافوا فعل الشرور إلى الظلمة والشيطان» (٢) ولأقوالهما السابقة عُدّا من الفرق الخارجة عن حظيرة الإسلام.

أما الفرقة الثانية فهي «الحمارية» أو «الحمادية» وهذه الفرقة استمدت أصولها وآراءها من الحايطية وهذا ما أشار إليه الاسفراييني في قوله «إنهم أخذوا القول بالتناسخ من أحمد بن خايط» (٣) وكما أخذوا من سليمان الضمري قوله «إن الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا أناساً قبل المسخ» (٤). وأخذوا من جعد بن درهم قوله «إن النظر الأول الذي تحصل به المعرفة فعل لا فاعل له» (٥). إضافة إلى أقوالهم السابقة فقد حللوا الخمر وقالوا: «إنه ليس من فعل الله ولكنه من فعل الخمار» (٦) وأقوالهم هذه كانت سبباً في أن يعدوا من الفرق الخارجة عن حظيرة الإسلام.

---

(١) الملل والنحل ج١ ـ ص ٦٤.

(٢) السابق ـ الموضع نفسه.

(٣) التبصير في الدين ص ٨٢.

(٤) السابق ـ الموضع نفسه.

(٥) التبصير في الدين ص ٨٢.

(٦) السابق ـ الموضع نفسه.

غــلاة المرجئـة

أما غلاة المرجئة فقد ظهرت منهم طائفتان غالتا في اعتقاداتهما، الطائفة الأولى قالت «إن الايمان قوي باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل» (١) وهذا القول نادى به اكران السجستاني.

أما الطائفة الثانية فقد قالت «إن الايمـــان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثـــان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار السلام وعبد الصليـــب وأعلن التثليث ومـــات على ذلك فهو مؤمـــن كامل الايمان عند الله» (٢).

---

(١) الفصل في الملل والنحل ج٤ ـ ص ٢٠٤.

(٢) السابق ـ الموضع نفســـــه.

ـ الخاتمــة ـ

نرى مما سبق أن عقائد الغلاة كانت تختلف من مذهب لآخر فهي عند الشيعة تدور حول تجسيد الالوهية في علي والائمة منهم من وضعهم في مرتبة الانبياء ومنهم من وضعهم في مرتبة الاله وبعضهم أضفى عليهم من الصفات التي يفتقدها الاشخاص العاديون كما أنهم قالوا بالتناسخ والتشبيه والتجسيم ورجعة الأموات وانكار يوم القيامة والحساب والعقاب فهذه تقريباً هي المعتقدات الأساسية التي اتفق عليها غلاة الشيعة.

أمـــا غلاة الخوارج فقد كانت اعتقاداتهم حول اسقاط الفرائض الاسلامية كالصـــلاة والصيـــام والزكاة والحج وتحليل الخمر وانكار يوم القيامة واعتبار الجنة من نصيبهم. أما غلاة المعتزلة فقد أوغلوا في التشبيه والتجسيم أكثر من غيرهم من الفرق المذهبية الأخرى. أما غلاة المرجئة فقد قللوا من قيمة الإيمان.

ولكن مهما كان الاختلاف في المعتقدات والآراء التي نادت بها كل فرقة على حدة، فـــإن جميـــع هذه الفرق تجمعها الضلالة والكفر والالحاد لأن الجميع دون استثناء لم يكن هدفهم ولا غايتهم إلا زعزعة هذا الهيكل الاسلامي الصلب الدعائم.

ومع ذلك لم ينجحوا ولم يصلوا إلى غايتهم التي نشدوها منذ افتراقهم عن مذهبهم الأم لأنه كان هناك رجال أوفياء أمناء على هذا الدين فوقفوا في وجه هذه الهجمة الشرسة، واستطاعوا بالفعل احباط محاولاتهم الرعناء.

تم بحمد الله

الفهرس

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٨٥٨/ ٦/ ١٩٩٦)

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان - الاردن ص . ب ١٤١٧٨١ - تلفاكس ٨٦٢٦٢٣